وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:...../.....

رقم التسجيل ط1: 2323075097733

رقم التسجيل ط2: 2323075096611

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب جزائري

بعنوان

كماراد رفيق الحيف والضياع لـ الحاج الصديق أحمد أنموذجا مقاربة أنثربولوجية

إعداد الطالبتين:

- سمية بريكي
- نادية عيش

- أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. نسيبة طيهار	أستاذ مساعد "ب"	جامعة المسيلة	رئيسا
أ.د جميلة روباش	أستاذ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. إيمان روباش	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1445/1444هـ.2024/2023م

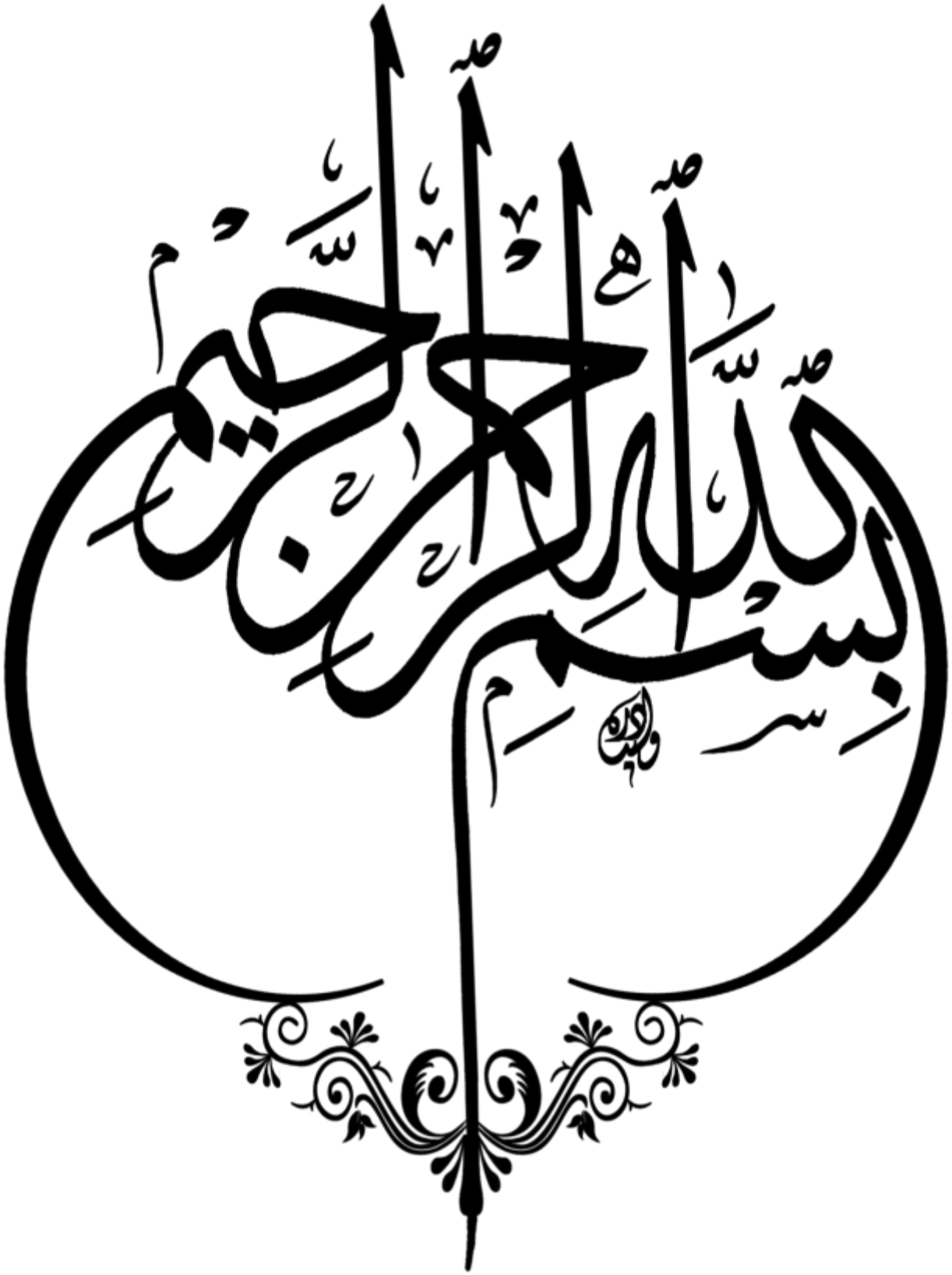
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين الذي منحنا القوة وساعدنا على إنهاء هذا البحث والخروج به بهذه الصورة، فبالأمس بدأنا مسيرتنا في البحث، ونحن ننظر إلى يوم التخرج كأنه يوم بعيد، فأدركنا أن الخوض في غماره، هدف سامي ومغامرة عظيمة للغاية تستحق منا تحمل العناء لأجلها.

وإيماناً بمبدأ أنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس فإننا نتوجه بالشكر الجزيل للأستاذة الدكتورة "جميلة روباش" التي ساعدتنا في إعداد هذا البحث القَيم، وما قدمته لنا من علم نافع وعطاء مستمر، وكان لها دور كبير من خلال تعليماتها ونقدِها البنَاء ودعمها الإيجابي، كما أتوجه بالشكر لعائلاتنا مصدر إلهامنا ومنبع قوتنا كل باسمه فرداً فرداً، على تشجيعهم لنت وصبرهم معنا، ومنحهم لنا الدعم الدائم.

وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم، ونسأل الله العظيم، أن يجزيهم بإحسانهم إحساناً وأن ينفع ببحثنا العباد

مقدمة

تعد الأنثروبولوجيا علما من العلوم الإنسانية التي لاقت رواجا كبيرا وشهرة واسعة خصوصا في الدول الأنجلوساكسونية وبشكل متميز في الولايات المتحدة الأمريكية، باعتبار هذه الأخيرة خليطا ومزيجا من الثقافات والإثنيات وأغلب الإبداعات النظرية والعلمية كانت في هذا البلد، أي الولايات المتحدة الأمريكية واتسمت الأبحاث الأنثروبولوجية في مجملها بالنزعة الثقافية، وأطلق على علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين اسم أصحاب المرجعية أو التيار الثقافي من دون أن ننسى فرنسا التي دخلت خارطة البحث الأنثروبولوجي من خلال مجموعة من الأسماء العالمية أمثال: "كلود ليفي ستراوس" "جورج دوميزيل" "مارسيل موس" إلا أن غايات الأنثروبولوجيا في فرنسا كانت تختلف اختلافا كبيرا عما هو موجود في أمريكا، فالهدف الاستراتيجي والرئيسي للأنثروبولوجيا أو الإثنولوجيا هو معرفة الآخر، أي معرفة ثقافته وطريقة تفكيره وقيمه من أجل امتلاكه أو بالأحرى استغلاله أو استعماره، باختصار، إن الأنثروبولوجيا الفرنسية كانت لها أهداف استعمارية، إذ ساعد الأنثروبولوجيون ساسة فرنسا في استعمار الكثير من الدول وعلى رأسها الجزائر.

إن هذه المقاربة بين مرجعيتين أنثروبولوجيتين مختلفتين الأنجلوساكسونية التي تتزعمها أمريكا والدول الفرنكوفونية التي تتزعمها فرنسا. لكن بالرغم من بعض العناصر السلبية التي احتوتها إلا أن إيجابياتها كانت أوسع وأشمل فكيف ذلك؟ إن الأنثروبولوجية مهما كان المكان الذي أنتجت فيه فإنها، بالدرجة الأولى، بحث إنساني كامل وشامل حول المكتسبات الثقافية القيمية للإنسان، فبفضل هذا العلم استطعنا نحن كائنات القرن الواحد والعشرين، أن نعرف نمط وطبيعة وطريقة تفكير المجتمعات التقليدية، تحليل رواية "كاماراد" بين الأبعاد الأنثروبولوجية يمكن أن يسلِّط الضوء على العلاقة بين الفرد والمجتمع وكيفية تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية على تطوُّر الشخصيات وأحداث الرواية. من الجدير بالذكر أن التأويل في هذا السياق يمكن أن يتضمن فهم دور العادات

والتقاليد والقيم الاجتماعية في بناء الشخصية وتوجيه الأفعال، بالإضافة إلى دراسة العلاقات بين الشخصيات والمجتمع وكيفية تأثير المحيط الاجتماعي على حياتهم وقراراتهم.

من ناحية أخرى، تشمل مشكلة التأويل في هذه الرواية أيضًا فهم التواصل بين الثقافات والتعقيدات التي تنشأ من تفاعل الشخصيات المختلفة واختلاف ثقافاتهم. بشكل خاص، تأثير الهجرة والاندماج في ثقافة جديدة على الهوية الشخصية وعلى علاقاتها يمكن أن يكون موضوعًا مهمًا لتحليل التأويل في هذه الرواية.

بالنسبة لمشكلة التأويل، يمكن أن تشكل الأبعاد الأنثروبولوجية تحدٍ لعمق الفهم والتفسير للرواية. يمكن للقراءة من خلال عدسة أنثروبولوجية تسليط الضوء على تفاصيل تافهة وأحداث صغيرة يمكن أن تكون مفتاحاً لفهم أعمق للشخصيات والقصة.

ومن خلال هذا البحث سنحاول رصد وتتبع أهم إنتاجات الأنثروبولوجيا من الناحية التنظيرية والميدانية، ولهذا الإشكالية التي يتمحور حولها بحثنا هذا تتمثل في:

"ماهي الأنثروبولوجيا؟ وما تعريفها؟ لغة واصطلاحا؟ وما أنواعها؟ وما طبيعة العلاقة بين الأنثروبولوجيا والرواية؟

وما هي التجليات الأنثروبولوجية في رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع" للصديق حاج أحمد؟ وكيف يمكن فهم مشكلة التأويل في الرواية؟

ومن أجل تفكيك العناصر المحورية الخاصة بموضوع البحث اعتمدنا على آليات المنهج الأنثروبولوجي الذي يعتبر نشاطا معرفيا معاصرا أفرزته تيارات نقد ما بعد الحداثة، مع الاستعانة بالمنهج الوصفي في محطات تحليلية تستدعيه.

وناشد البحث جملة من الأهداف رمى إلى تجسيدها وتمثلت فيما يأتي:

تسليط الضوء على الرواية الجزائرية المعاصرة من خلال دراسة أحد نماذجها وهو الروائي الصديق حاج أحمد عن التعريف.

– العمل على قراءة النصوص الروائية الجزائرية قراءة أنساقية أنثروبولجية مغايرة لما ألفه الدرس النقدي الجزائري من قراءات تاريخية، سيميائية، تداولية.

إن أي بحث كما نعرف بداهة، تحركه مجموعة من الدوافع سواء كانت ذاتية أو موضوعية؛ فالدافع الذاتي هو اهتمامنا في هذا المجال الذي رأينا فيه تحقيقا لانشغالاتنا المعرفية، وبالتحديد تلك الاهتمامات العلمية والميدانية التي لم نجدها في العلوم الإنسانية الأخرى، أما الدافع الموضوعي والعلمي فيتجلى في محاولة إغناء المكتبة الجزائرية ببحث جديد لعله يفيد المختص وبالخصوص الباحث المهتم بهذا المجال وعلى رأسهم الطلبة.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المراجع المهمة، التي كانت بمثابة المرتكز الأساسي لفصول البحث منها الكتب: كتاب "الأنثروبولوجيا: الفروع والمداخل النظرية"، كتاب الأنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا، إضافة إلى بعض الرسائل الجامعية مثل: الأنثروبولوجيا الروائية، رواية خطوة في الجسد لحسين علام، مقاربة أنثروبولوجية أدبية".

ولكي تتضح صورة العمل بشكل المنطقي متسلسل حاولنا تقسيمه من خلال الخطة التالية: مقدمة تتضمن مجموعة من الإشكاليات المركزية والجوهرية، بالإضافة إلى فصلين.

الفصل الأول الموسوم بـ: "الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالنص الأدبي في ضوء التأويلية": تطرقنا فيه إلى مفهوم الأنثروبولوجيا، لغة واصطلاحا، أنواع الأنثروبولوجيا، علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب. ومفهوم التأويل، ومبادئه.

الفصل الثاني المعون بـ: الأبعاد الأنثروبولوجة في رواية كاماراد: تناولنا فيه تجليات الأنثروبولوجيا في رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع" للصديق حاج أحمد ومسار التأويلي.

ومن الطبيعي أن تكون هناك خاتمة استنتاجية لهذا العمل.

ولا يخلو أي عمل من متاعب، وعراقيل فمن الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث ندرة الأبحاث التطبيقية فيما يخص دراسة النص الروائي دراسة أنثروبولوجية، والتي اقتصرت في الغالب على الجانب النظري.

وفي الأخير نشكر الله العلي القدير شكرا يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه ثم أتقدم بجزيل الشكر للدكتورة: "جميلة روباش" على رحابة صدرها، وما بذلته من جهد في سبيل تقويم هذا البحث وإلى اللجنة المناقشة.

الفصل الأول

الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالنص الأدبي في ضوء التأويلية

المبحث الأول: الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالنص الأدبي

المبحث الثاني: نظرية التأويلية ومبادئها

تمهيد:

يشكل علم الأنثروبولوجيا كغيره من العلوم الإنسانية والاجتماعية موضوع اختلاف وتضارب بالنسبة لمعناه، ومواضيعه لدى المهتمين بالقضايا الأنثروبولوجية[1]، حيث لا يوجد اتفاق فيما يخص تعريف هذا العلم، كما أن هذا الاختلاف في دلالة ومعنى والأنثروبولوجيا قد ألقى بظلاله على الساحة المعرفية الأنثروبولوجية، خاصة بحيث يظهر هذا جليا في المدارس والمقاربات الأنثروبولوجية.[2]

وسنحاول عرض بعض التعاريف الخاصة بهذا العلم ثم الخروج في النهاية بتعريف توفيقي يمكن أن يسهل علينا الإحاطة بهذا الفرع من فروع المعرفة وتقريبه للمختص عامة والقارئ خاصة.

تشير الأنثروبولوجيا إلى مجموع الفروع التي اهتمت بدراسة المجموعات الإنسانية من خلال الزاوية الفيزيقية للأنثروبولوجيا الطبيعية، والبليونتلوجيا الإنسانية ومن زاوية أشكال الحضارات بدون كتابة الموجود حاليا (أنثنولوجيا) أو قديما علم الآثار، وما قبل التاريخ.[3]

في الحقيقة هذا التعريف الأنثروبولوجيا حديث جدا، منذ فترة ليست بالبعيدة في فرنسا، الأنثروبولوجيا كانت تشير بصفة ضيقة إلى دراسة الخصائص الفيزيقية... والبيولوجية للإنسان، وفي الوقت نفسه الأنجلوسيكسونين من يعطون للكلمة معنى أوسع ليشمل ليس فقط الأنثروبولوجيا الفيزيقية والبيولوجية لكن كذلك البنيونتولوجيا والأنتولوجيا.[4]

---

[1]جمال معتوق، الأنثروبولوجيا: الفروع المداخل النظرية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2016، ص11.

[2]المرجع نفسه، ص11.

[3]المرجع نفسه، ص11

[4]المرجع نفسه، ص11.

1- نشأة الأنثروبولوجيا:

إذا كانت النشأة العلمية للأنثروبولوجيا حديثة فإن جذورها قديمة، إن لم نقل أنها وجدت مع بداية وجود الإنسان الذي كان يفكر في نفسه وفي غيره، أما إذا انطلقنا من كون الأنثروبولوجيا هي التعرف على الشعوب الأخرى والاحتكاك بها والكتابة عن عاداتها وممارساتها فيمكن تتبع هذا المعنى منذ القديم عبر المراحل التالية:

أ- في العصور القديمة:

- عند الإغريق القدماء (اليونانيين):

يمكن الإشارة بداية إلى أبرز عمل قام به المؤرخ "هيرودوتس" Herodotus في القرن الخامس قبل الميلاد أول من أحلام الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة وجود التنوع والفوارق فيما بينها، لذلك يعتبره مؤرخوا الأنثروبولوجيا الباحث الأنثروبولوجي الأول في التاريخ، حيث قام بجمع معلومات وصفية دقيقة عن عدد كبير من الشعوب غيرالأوروبية، حيث تناول بالتفضيل تقاليدهم، وملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية، إضافة إلى أنه قدم وصفا دقيقا لمصر وأحوالها وشعبها، حيث يقول في كتابه "التواريخ في الباب التاسع: «وفي غير مصر يطلق كهنة الآلهة شعورهم، أما في مصر فيلحقونها، ويقضي العرف عند سائر الشعوب بأن يحلق أقارب المصاب رؤوسهم أثناء الحداد، ولكن المصريين إذا نزلت بساحتهم محنة الموت يطلقون شعر الرأس واللحية»[1].

هذه الإسهامات المبكرة من قبل "هيرودوتس" في وصف ثقافات الشعوب وأنظمتهم وتقاليدهم يقترب إلى حد بعيد من المنهج -الأنثروبولوجي- أو ما يسمى بعلم الشعوب ما جعل البعض يصف هذا المؤرخ بأبي الأنثروبولوجيا القديمة.

كما يمكن الإشارة أيضا إلى "أرسطو" (348-322 ق.م) الذي وصف بدوره تطور الكائنات وارتقائها ووصف أنماط الشعوب وفقا لأنظمتها السياسية وحكوماتها. فأرسطو

[1]عيسى الشماس: مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، د ط، 2004، ص14.

«انغمس في تأملات رفيعة المستوى حول الطبيعة الإنسانية وناقش في أنثروبولوجيته الفلسفية الفروق بين الناس على وجه العموم والحيوانات، فإن الإنسان فقط هو الذي يملك العقل والحكمة والأخلاق، كما جادل في أن البشر اجتماعيون من حيث الجوهر بطبيعتهم».[1]

وهنا نلاحظ أنه توافق مع فكر الويسمورجان" في فكرة تطور البشرية من مرحلة إلى أخرى عن طريق الاتبكارات العقلية وفكرة الانتقال عن طريق الطفرات المادية ذات البعد الابتكار العقلي.

كما نجد أيضا "تاسيتوس" الذي يعتبر من رواد الدراسة الأنثوغرافية الثقافة البدائية وذلك في كتابه "جارمانيا" الذي وصف من خلاله عادات وتقاليد الشعوب الجرمانية، كما حذر زملائه الرومان من قوة الجرمانيين لأنه لاحظ فيهم قوة يمكن أن تتسبب في سقوط روما.[2]

وبالرغم من عدم رقي الفكر الروماني إلى مستوى التأسيس الأنثروبولوجي فقد شبه الرومانيون إلى مسألة التقسيم العنصري للشعوب، فإذا رضوا عن شعب أصدرت الدولة قرارا بمنحه الجنسية الرومانية وإن رفضوه أطلقوا عليه تسمية البربر.

- عند الصينيين القدماء:

كان الصينيون القدماء يشعرون بالأمن والهدوء داخل بلدهم لذا امتنعوا من الاحتكاك بالحضارات الأخرى، كما أنهم كانوا مكتفين ذاتيا من الناحية الاقتصادية المعاشية، واكتفوا فقط ببعض التبادلات التجارية، كما اهتم فلاسفة الصين بشؤون

---

[1]توماس هايلاند إيركسون وفين سفرت نيلسون: تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، ث، أ، د، لاهاي عبد الحسين، منشورات الاختلاف، العاصمة، الجزائر، ط1، 2013م، ص14.

[2]بيرتي بيلتو: دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ، ترجمة: كاظم سعد الدين، سلسلة عالم الحكمة، بغداد، العراق، ط1، 010 2م، ص15.

المجتمعات البشرية من خلال الاتجاهات الواقعية العملية في دراسة أمور الحياة الإنسانية ومعالجتها.

ب- في العصور الوسطى:

تمتد هذه الفترة ما بين القرن الرابع والقرن الرابع عشر تتراوح نهاية الإمبراطورية الرومانية حتى بداية الكشوفات الجغرافية الأوروبية.

-في أوروبا:

كانت الحياة العامة في أوروبا في هذه الفترة جد متدهورة، حيث سيطرت الكنيسة أدى إلى تدهور التفكير، كما سيطرت عليها الأفكار الدينية وحوكم كل من يخالفها بالنفي أو القتل.

وبالرغم من كل هذا نجد بعض الدراسات التي كتبها الرواد عن الشعوب، ومن بين هذه الكتابات نجد: نجمة موسوعة التي كتبها الأسقف أسيدور في القرن 7، وصف فيها عادات وتقاليد عدة شعوب بطريقة جد عفوية وإن كانت متحيزة وسطحية ليصل إلى نتيجة تتمثل في أن الانحطاط لا يقاس بمدى ابتعاد الشعوب عن المركز الذي يقع في أوروبا، فكلما ابتعدت هذه الشعوب عنها كانت أكثر تدهورا وتخلفا.[1]

- عند العرب:

وتمتد من منتصف القرن السابع ميلادي وحتى نهاية القرن الرابع عشر تقريبا، حيث بدأ الإسلام في الانتشار خاصة بعد فتح مكة عام 7ه/632م، إذ بدأت معه بوادر الحضارة العربية الإسلامية آنذاك بالتكوين والازدهار، ومن أهم الأعمال ذات بالأنثروبولوجيا:

-معجم البلدان لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (626-574هـ)٠

(1) خواجة عبد العزيز بن محمد: محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، (د، ن)، (د، ط)، غرداية، الجزائر، 2015، ص18.

-أبو الريحان محمد بن شهاب بن أحمد البيروني (362-440هـ) في وصف العمران والأقاليم في كتابه "تحرير ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة".

-رحلة محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، في كتابه "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأصفار" التي تميزت بالطابع الأنثروبولوجي واهتمام صاحبها بالشعوب في حياتها اليومية وأنماط الشخصيات السائدة فيها وسلوكياتهم وقيمهم.

- مقدمة "ابن خلدون" وهي جزء من كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".

ج- في عصر النهضة الأوروبية:

يتفق المؤرخون على أن عصر النهضة في أوروبا بدأ في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث شرع الأوروبيون في عملية دراسة انتقالية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية، حيث فتحت «سلسلة من التطورات المهمة الطريق لإضافات واسعة إلى معرفة الإنسان، حيث قام رحالة برتغاليون وإسبان وغيرهم بمغامرة في المحيطات المجهولة آنذاك حتى وصلوا إلى العالم الجديد، فبدأ حينئذ تراكم سريه في معرفة جديدة من شعوب العالم كالهنود الحمر في أمريكا وشعوب جزر البحار الجنوبية وشعوب غرينلاند التي تصيد الفقمة والرنة.

وبهذا سعت الدول الأوروبية إلى التوسع اقتصاديا وسياسيا من خلال الشعوب الأخرى وعملت جاهدة من أجل معرفة أنماط عيشها وتفكيرها.

وقد تميز عصر النهضة الأوروبية بظهور اتجاه لدراسة الإنسان عرف بالمذهب الإنساني العلمي، اقتضى دراسته الماضي من أجل فهم الحاضر، حيث اتجهت إلى دراسة الطبيعة الإنسانية، وفهم ماهيتها وأبعادها وفق المراحل التاريخية التطورية للإنسان.[1]

[1] عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبوبوجيا)، ص19-20.

2- طبيعة الأنثروبولوجيا:

إن التعريف الضيق الأنثروبولوجيا في فرنسا يفسر بكراهية ورفض جعل الإنسان موضوع للدراسة كغيره من المواضيع الأخرى، أي هناك رفض أخلاقي يتمثل في عدم قبول ما أسماه إيميل دوركايم بالشيئية، وتطبيقها على الإنسان وهذا ما دفع العديد من العلماء إلى رفض ومقاومة هذا الطرح بالخصوص في الدول الأنجلوسيكسونية.

الأنثروبولوجيا كلمة أكثر تعقيد ا من السوسيولوجيا تجعلنا أكثر حيرة، الفيلسوف يرى في خطاب تجريدي حول الإنسان بشكل عام أو خطاب يجعل الإنسان (وإنسانية الإنسان) أساس تفكيره وانشغالاته، الطبيب يفكر ويهتم بالأنثروبولوجيا الفيزيقية والتي لها موضوعها السمات الفيزيقية التشريحية، والمرضية للأفراد من خلال العرق، الجنس، الوراثة، التغذية.

وتشير الأنثروبولوجيا أتيمولوجيا إلى علم الإنسان، كان لها في البدايات الأولى لظهورها تطلع إلى جمع العديد من فروع المعرفة من أجل الخروج بصورة شاملة عن المجتمعات الإنسانية.

أ- المفهوم الاشتقاقي لمصطلح الأنثروبولوجيا:

الأنثروبولوجيا مصطلح منحوت من كلمتين يونانيتين هما: (Anthropos) إنسان و(Logs) علم وتعنيان معا علم الإنسان[1].

الأنثروبولوجيا هو العلم الذي يدرس الإنسان من حيث تركيبه الجسمي وبنائه البدني والعقلي وصفاته الجسمية المختلفة، وعلاقاته الاجتماعية مع الآخرين وتفاعله مع المجتمع والبيئة والثقافة السائدة فيها[2]، وبمعناها العام الفلسفي تعني علم وصفي للإنسان.

---

(1) ينظر: شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا إنجليزي –عربي، جامعة الكويت، ط1، 1981 ص56

(2) ينظر: سمير سعيد حجازي، معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والأدبية، مكتبة شمس المعرفة، مصر، (د.ط)، (د ت)، ص16

ب- المفهوم الاصطلاحي الأنثروبولوجيا:

يشار الأنثروبولوجيا على أنها علم الإنسان من حيث هو كائن اجتماعي ومنها الأنثروبولوجية الطبيعية والاجتماعية والحضارية والتطبيقية، ولذلك تعرف الأنثروبولوجيا بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة، ويقوم بأعمال متعددة ويسلك سلوكا محددا، وهو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل، ولهذا يعتبر علم دراسة الإنسان الأنثروبولوجيا علما متطورا يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله.

وتعرف الأنثروبولوجيا أيضا بأنها علم (الأناسة) العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة ومن جهة أخرى الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها والمخلوق الذي يتميز عنها جميعا[1].

كما تعرف الأنثروبولوجيا بعدة تعريفات منها:

-علم الجماعات البشرية وسلوكها وإنتاجها.

-علم الإنسان من حيث هوكائن طبيعي واجتماعي وحضاري.

-علم الحضارات والمجتمعات البشرية.

3- أهداف الأنثروبولوجيا:

استناداً إلى مفهوم الانثروبولوجيا وطبيعتها، فإنّ دراستها تحقّق مجموعة من الأهداف، يمكن حصرها في الأمور التالية:

- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفاً دقيقاً، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كلّ ما يقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم، في الحياة اليوميّة[2].

---

[1] عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا، ص13-14.

[2] المرجع نفسه، ص15.

- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوّري الحضاري العام للإنسان: (بدائي- زراعي- صناعي- معرفي - تكنولوجي).

- تحديد أصول التغيّر الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغيّر وعملياته بدقّة علمية، وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيير المختلفة.

- استنتاج المؤشّرات والتوقعّات لاتّجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية / الحضارية التي تتمّم دراستها، وبالتصوّر بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة[1].

ويبدو أنّ التباين العرقي بين بني البشر، هو الخاصة البيولوجية التي تستأثر باهتمام العالِم الحديث، أكثر من سائر الخواص البيولوجية الأخرى عند الإنسان. ويبذل المصنّفون العرقيون محاولات دائبة للتوصّل إلى تصنيف عرقي مثالي. فكان من نتائج انشغال علماء الأنثروبولوجيا الجسمية بمشكلة العرق، أن اكتسب مفهوم النوع (العرق) رسوخاً أعاق التفكير بالكائن البشري ذاته. فالأصناف العرقية البشرية ظلّت، وإلى عهد قريب، تعتبر كيانات ثابتة نسبياً، وقادرة على الصمود أمام تأثيرات البيئة أو قوى التغيّر الفطرية.

إنّ اهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات الإنسانية كلّها، وعلى المستويات الحضارية كافة، يعتبر منطلقاً أساسياً في فلسفة علم الأنثروبولوجيا وأهدافها. ولكن على الرغم من التوسّع في مجال الدراسات الأنثروبولوجية، فما زالت الاهتمامات التقليدية للأنثروبولوجيا، ولا سيّما وصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات، ودراسة اللغات واللهجات المحلية وآثار ما قبل التاريخ، تؤكّد ولا شك، تفرّد مجال الأنثروبولوجيا عمّا عداها من العلوم الأخرى[2].

---

[1] عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا، ص16.

[2] المرجع نفسه، ص16-17.

ومن هنا كانت أهميّة الدراسات الأنثروبولوجية في تحديد صفات الكائنات البشرية، وإيجاد القواسم المشتركة فيما بينها، بعيداً عن التعصّب والأحكام المسبقة التي لا تستند إلى أية أصول علمية.

وإذا كان علم الأنثروبولوجيا، بدراساته المختلفة، قد استطاع أن ينجح في إثبات الكثير من الظواهر الخاصة بنشأة الإنسان وطبيعته، ومراحل تطوّره الثقافي/ الحضاري، فإنّ أهمّ ما أثبته هو، أنّ الشعوب البشرية بأجناسها المتعدّدة، تتشابه إلى حدّ التطابق في طبيعتها الأساسية، ولا سيّما في النواحي العضوية والحيوية.

4- فروع الأنثروبولوجيا:

تحتوي الأنثروبولوجيا على الكثير من الفرع التي تختلف باختلاف الموضوعات التي تتناولها وتعالجها، ولقد تطورت هذه الموضوعات مع تطور المجالات المعرفية التي حاولت الأنثروبولوجيا أن تعرفها.

ففروعها كثيرة ولا يمكن حصرها وفي هذا السياق سنحاول دراسة ما يهم[1].

أ- الأنثروبولوجيا الطبيعية:

تعرف الأنثروبولوجيا الطبيعية بأنها العلم الذي بحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية والتغييرات التي تطرأ عليه بفعل المورثات كما يبحث في السلالات الإنسانية من حيث الأنواع البشرية وخصائصها بمعزل ثقافة كل منها، وهذا يعني أن الأنثروبولوجيا الطبيعية أو العضوية، تتركز حول دراسة الإنسان بوصفه نتاجا لعملية عضوية، ومن ثم دراسة التجمعات البشرية السكانية وتحليل خصائصها.

لذلك أضحت الأنثروبولوجيا الطبيعية محل استغلال واسع في تحديد النوع الأمثل والجنس الأمثل والعرق الأمثل والسلالة المثلى.

---

[1] خواجة عبد العزيز بن محمد: محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، ص18.

فروع الأنثروبولوجيا الطبيعية:

تفرعت الأنثروبولوجيا الطبيعية إلى فروع أهمها:

- **علم الحفريات الباليونترلوجيا:** وهو العلم الذي يدرس الجنس البشري منذ نشأته ومن ثمة مراحله الأولية وتطوره من خلال ما تدل عليه الحفريات والآثار المكتشفة فهو مقصور على البحث في النوع البشري.[1]

- **علم الأجسام البشرية السيماتولوجيا:** وهو العلم الذي يدرس الصفات العضوية للإنسان البدائي المنقرض والإنسان الحالي من حيث الملامح الأساسية والسمات العضوية[2]، ومنه فالأنثروبولوجيا الطبيعية تدرس تطور الإنسان من الجانب البيولوجي والفيزيولوجي وترتبط أكثر بالعلوم الطبيعية.

ب- الأنثروبولوجيا الثقافية:

تهتم الأنثروبولوجيا الثقافية في كلياتها بالإنسان من حيث هو عقل وينتج ثقافة ويراكمها في مجتمع معين، وفيه تتم دراسة الثقافات ومكوناتها من النظم الإدراكية الفردية والنظم الطقسية الجماعية والأساطير والعادات والتقاليد والأديان.

تعرف الأنثروبولوجيا الثقافية بوجه عام «بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معينة وعلى هذا الإنسان أن يمارس سلوكا يتوافق مع سلوك الأفراد في المجتمع (الجماعة) المحيط به، يتحلى بقيمه وعاداته ويدين بنظامه ويتحدث بلغة قومه».[3]

ولذلك فإن الانثروبولوجيا الثقافية هي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية وأيضا تهتم بأساليب حياة الإنسان وسلوكاته النابعة من ثقافته كما تدرس الشعوب القديمة وثقافتهم والشعوب المعاصرة.

---

[1] أزهري مصطفى صادق، مقدمة في الأنثروبولوجيا، جامعة الملك سعود الأثر، 221، 2013- 2014، ص22.

[2] عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا، ص82.

[3] المرجع نفسه، ص69.

أقسام الأنثروبولوجيا الثقافية:

على الرغم من تعدد العناصر الثقافية، وتداخل مضموناتها وتفاعلها على النسيج العام لبنية المجتمع الإنساني فقد اتفق الأنثروبولوجيون على تقسيم الأنثروبولوجيا الثقافية إلى ثلاثة أقسام أساسية هي:

- **إنسانية:** هو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية المنقرضة والحية ولا سيما المكتوبة منها السجلات التاريخية مثل اللاتينية واليونانية القديمة واللغات الحية المستخدمة في الوقت الحاضر كالعربية والفرنسية والإنجليزية ويهتم دارسو اللغات بالرموز اللغوية المستعملة إلى جانب العلاقات القائمة بين لغة شعب ما والجوانب الأخرى من ثقافته باعتبار اللغة وعاءا ناقلا للثقافة.[1]

لذلك فإن هذا الفرع من الممكن أن يتعامل مع وصف اللغة أي طريقة تكوين الجملة أو تصريف الفعل أو تاريخ اللغة أي طريقة تطور اللغة وتأثيرها في بعضها البعض عبر الزمن.

وتنقسم اللغويات إلى قسمين رئيسيين: "دراسة شكل اللغة ويهتم بدراسة تركيب اللغة لبعض التراكيب والكلمات لنقل وإرسال معنى معين بهدف إزالة الغموض المحتمل من استخدام تراكيب أخرى، وهناك أقسام أخرى للغويات: اللغويات التطورية اللغويات التاريخية اللغويات الاجتماعية، علم اللغة النفسي، اللغويات العصبية"[2].

- **علم الآثار:** علم الآثار هو ذلك الفرع من الأنثروبولوجيا الثقافية الذي "يهتم بدراسة واكتشاف البقايا المادية في الثقافات المنقرضة أو القديمة وذلك بهدف التوصل إلى وصف وتفسير السلوك الإنساني".[3]

---

[1] أزهري مصطفى صادق علي، الاتثروبولوجيا الطبيعية والثقافية، ص12.

[2] المرجع نفسه، ص39.

[3] عبد الله عبد الغني غانم، الأثثروبولوجيا الثقافية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط2، ص12.

كما نجد أيضا علم الآثار يضم إلى الأنثروبولوجيا الطبيعية أحيانا لأغراض التدريس وهو ثقافي أكثر من كونه بيولوجيا لأن علم الآثار يدرس المعلومات عن الثقافات البشرية التي يمكن الحصول عليها من التنقيب الواعي عن المساكن القديمة والنص والأشياء الفنية والأدوات والأسلحة وأعمال الإنسان الأخرى التي غطتها أتربة الزمن.[1]

- **علم الثقافات المقارن أو الأثنولوجيا:** يمكن تعريف الإثنولوجيا بأنها الدراسة التاريخية والمقارنة للثقافات أو الشعوب وتمثل السلالة وحدة الدراسة الإنسانية فيها كما عرفها علم الأنثروبولوجيا السوفياتية أو الأوروبية قد عرف كروبر ميدان دراسة الأنثروبولوجيا بأنه يشمل كل من الثقافة والتاريخ والجغرافيا، بينما ميز راد كليف براون الأنثروبولوجيا التي تعني في رأيه الدراسة التاريخية والجغرافية للشعوب عن الدراسة الوظيفية للأنساق الاجتماعية والتي أطلق عليها مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية ويستخدم مصطلح الإثنولوجيا بدا من مصطلح الأنثروبولوجيا في عديد الدول الأوروبية وخاصة دول شرق أوروبا حيث يعتقد أنه لا يمكن أن يكون علم عام لدراسة الإنسان بدون الدراسة التاريخية والميدانية للثقافات الجماهرية والشعبية والقبلية وبين المقارنة الثقافية والتعميم بين الثقافات المتباينة.[2]

ج- الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

تعرف الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنها "دراسة السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة ونسق القرابة والتنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية والإجراءات القانونية وغيرها".[3]

ومنها يمكن القول بأن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بالشعوب وتحديدا تركز على دراسة المؤسسات كبنيات اجتماعية رمزية ومادية. ومن ثمة يهدف بالبحث الأنثروبولوجي

---

[1] بيرلى ج بيلتو، دراسة الأنثروبولوجيا، المفهوم والتاريخ، تر: كاظم سعد الدين، دار الحكمة، 2010، ص47-48.

[2] أزهري مصطفى صادق، مقدمة في الأنثروبولوجيا، ص47-48.

[3] مارك أوجييه، الأنثروبولوجيا، تر: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، 2008، ص7.

الاجتماعي دراسة الفروق بين الشعوب في مختلف الحضارات والأزمنة وقد تمتد إلى دراسة الذهنيات وطرق التفكير الجماعي.

ويوصف علم الانثروبولوجيا الاجتماعية بأنه علم حديث العهد لا بل أكثر العلوم الاجتماعية حداثة، فقد استخدم مصطلح الانثروبولوجيا الاجتماعية للمرة الأولى في عام (1980) عندما كرمت جامعة ليفربول في بريطانيا السيد "جيمس فريزر ومنحته لقب الأستاذ.

ومما يدل على حداثة هذا العلم الذي يدرس الجانب التطبيقي من البنى الاجتماعية ذلك الاختلاف الذي لا يزال قائما بين علماء الاجتماع حول هذه التسمية الانثروبولوجيا الاجتماعية ولكن على الرغم من حداثة هذا العلم فقد مر بمراحل متعددة أسهمت في نشوئه وتطوره واستكمال عناصره إلى حد بعيد، بدءا من القرن الثامن عشر وحتى الوقت الحاضر.

وتهدف الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أهمها:

- تحديد نماذج عالية للأبنية الاجتماعية.
- تحديد مظاهر التداخل والترابط بين النظم الاجتماعية.
- تحديد التغيير الاجتماعي.

د- الأنثروبولوجيا الطبيعية:

لأنثروبولوجيا الطبيعية (الفيزيائية أو البيولوجية) هي دراسة تطور الأنواع البشرية في الماضي والحاضر، وفهم أسباب التنوع البشري الحالي، كما تشمل مجالات متباينة مثل علم الحفريات البشرية، وعلم الأحياء التطوري، وعلم الوراثة البشرية، وعلم التشريح المقارن، وعلم وظائف الأعضاء، وسلوك الرئيسيات، وعلم البيئة السلوكي البشري، وعلم الأحياء البشري.

وتغطي البيولوجيا البشرية على نطاق واسع مجالات الاختلاف البيولوجي البشري الحديث، والإيكولوجيا البشرية، والتغذية والديموغرافيا، وما يجعل الأنثروبولوجيا الطبيعية فريدة من نوعها هو أنها تجعل كل هذه المجالات تؤثر على فهمنا لحالة الإنسان.

- مجالات الأنثروبولوجيا الطبيعية:

علم الرئيسيات: هو دراسة الرئيسيات غير البشرية، والتي تكون قريبة لتركيبة الإنسان، كما تتضمن دراسات في علم الأحياء والسلوك والصحة والبيئة والحفاظ على الرئيسيات غير البشرية.

علم الإنسان القديم: هو دراسة الأدلة الأحفورية للتطور البشري، حيث يتم استخدام السجل الأحفوري للوصول إلى استنتاجات حول أنماط حياة الكائنات المنقرضة.

علم البيئة السلوكي البشري: هو دراسة السلوك البشري من منظور تطوري، حيث يستخدم البحث في هذا المجال من الأنثروبولوجيا البيولوجية البيانات التي تم جمعها من العمل الميداني الإثنوغرافي الكمي، أو الموجودة في المصادر الأرشيفية حول السلوك البشري الاجتماعي والإنجابي والديموغرافي والإنتاجي، كما يعتبر أحد الأساليب الثقافية الحيوية الحقيقية في الأنثروبولوجيا حيث يسترشد بالنظرية والأساليب من كل من العلوم الطبيعية والاجتماعية.

بيولوجيا الهيكل العظمي البشري: هي دراسة التشريح والبنية والتنوع في الهيكل العظمي البشري الحديث، وعمليات التمثيل الغذائي التي تشارك في نمو الهيكل العظمي ووظيفته، ويفحص البحث في هذا المجال للأنثروبولوجيا البيولوجية مجموعة من السمات في علم الآثار والعظام والأسنان البشرية الأحدث لإعادة بناء أنماط الحياة والصحة والأمراض للأشخاص السابقين، وتحديد بقايا الهياكل العظمية البشرية من حالات الطب الشرعي والطب القانوني.

علم الآثار الحيوية: هو دراسة الحالة البشرية القديمة (طرق الحياة، الصحة، المرض، السلوك)، والتي نستطيع دراستها ومعرفتها من خلال الرفات البشرية في سياق البيانات الأثرية.

أنثروبولوجيا الطب الشرعي: هو التطبيق الطبي القانوني للتقنيات الأنثروبولوجية البيولوجية لمعالجة مسائل الهوية (مثل الأصول والجنس والمكانة)، والوقت منذ الوفاة وطريقة الوفاة فيما يتعلق برفات البشر الحديثة.

5- علاقة الأنثروبولوجيا بالنص الأدبي:

تتبادل الوسائط المعرفية مختلفة الاشتقاقات، وتعيش مناظرات دائمة في أشكالها، ووسائلها، ومضامينها، لأنها تتفاعل فيما بينها وكل منها يعيد توظيف عناصر الآخر طبقا للسياقات التي يراها مناسبة، فلكل وسيط تمثيلي يتطعم بخصائص من الوسائط الأخرى.

ولا جرم أن النّص الأدب مشكل للأفكار والجمال والواقع والخيال والأحلام، مشكل لكل الآهات وتطلعات الإنسان، يتماهى مع كل التمثيلات والتصورات والرؤيا للكون والعالم، فهو نقطة جذب تتقاطع فيه التلاقحات المنهجية المتعددة لفرز قضايا الكتابة الأدبية ومنها علاقة التحليل الأنثروبولوجي للنّص الأدبي، فماهي طبيعة هذه العلاقة؟

1- علاقة الأنثروبولوجيا بالقصة:

يعتبر كاتب القصص بمثابة الأنثروبولوجي المكتبي، الذي ينزل من الميدان مسجلا النصوص التي تنتجها الثقافة، بعد إن كان يتفاعل مع الثقافة نفسها باعتبارها نصا، ثم يحاول الناقد جسر الهوة بين نص الثقافة وثقافة النص، وتوضيح العلاقة بين الميدان الأنثروبولوجي والنص الأدبي المشحون بالظواهر الثقافية الأنثروبولوجية، حيث يساهم القاص (مؤلف القصص) بطريقته الخاصة في تبليغنا حيثيات التاريخ، ويقدم ذلك على

شكل حكايات مشوقة لنا بذلك ثقافة من الثقافات، إما النقد فمساهمته تكمن في كونه يحاول إبراز عاقة وطيدة الكامنة بين النص الأدبي ومجال علم الإنسان الأنثروبولوجيا. [1]

2- علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب:

إذا كانت اللغة - بالنظر إلى ارتباطها الوثيق بالأنثروبولوجيا تعد (اللغة) وسيلة لفهم الثقافة التي تتمثل في الإبداع الأدبي والفني والفكري الذي يتميز به مجتمع من غيره «فإن الأدب بشقيه الشفاهي والمكتوب يشكل جزءا من الإبداع»[2]، من هنا ترتبط الأنثروبولوجيا بالأدب. فعبر الأدب يتعرف الأنثروبولوجي على العادات والتقاليد وثقافة المجتمع الذي يدرسه.

باعتبار النص الأدبي خطابا يملك آلية داخلية لكنه يرتبط بالسياق الذي أنتجه مما دعا الأنثروبولوجي لوضع النصوص الأدبية في مجموع الإنتاجات التي يحاول الإنسان بواسطتها معرفة العالم والآخرين، وبالتالي معرفة ذاته أيضا فالعلاقة بين النصوص الثقافية والأدبية بخاصة وبين السياقات الاجتماعية التي أنتجتها واضحة جدا «فالأدب مجال أساسي لمعرفة الجانب الاجتماعي.[3]

فهو يسجل ملامح العصر بأمانة وإخلاص أو يعبر بصدق عن المعاملات السائدة بين الناس وهو (الأدب) قبل كل شيء أشبه بمتحف يعرض عادات وتقاليد المجتمعات وهو مصدر من مصادر تاريخ الحضارة ومرآة للحياة ومحاكاة لها.

---

[1] وعبة ناريمان، قاسمي ليلى، الأنثروبولوجيا الروائية، رواية خطوة في الجسد لحسين علام، مقاربة أنثروبولوجية أدبية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة بجاية، 2019/2020، ص45.

[2] سندس محمد عباس، أنثروبولوجيا الأدب، دراسة لقصة أنا الذي رأى... وثائق، للقاص محسن الرملي، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، العدد 1، 2015، ص6 و7.

[3] بول أرون وآلان فيالا، سوسيولوجيا الأدب، تر: محمد علي مقلد الكتاب جديد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013، ص16.

انصب اهتمام الأنثروبولوجيون أساسا على «دراسة الأدب الشفاهي والذي يتضمن الحكايات الأساطير الأغاني، الشعر الشعبي والأمثال الشعبية»[1].

ويعتبر عالم النفس كارل يونغ أن رموز الأدب الشفاهي «تشكل تعبيرات عن صور مستمدة من اللاشعور الجمعي التي لا يستطيع الباحث من خلال دراستها تصور الأنا والآخر والإحساس به»[2]. لذلك تعد عملية إنتاج الأدب في غاية التعقيد.

ظهر في أوائل هذا القرن فرع جديد من فروع الأنثروبولوجيا وهو «أنثروبولوجيا الأدب على يد الثنائي الفرنسي جان بيير جيرفود jean pierre Girfaud وجان بول توريل Tourrel jean Paul كميدان بحث أنثربولوجي يدرس الخطاب المتجسد في النص الشفاهي أو المكتوب ويحلل دوره في تكوين الأشكال الثقافية للمجتمع».[3]

فلقد حاول الباحثان وضع حد للقراءات النسقية العميقة وبحثا أيضا عن كل التجليات الثقافية والاجتماعية والسياسية.

إلى ذلك يظهر بأن العلاقة بين الأنثروبولوجيا والأدب علاقة تأثير متبادل في المناهج والأفكار بحكم أن الأدب على اختلاف أجناسه الأدبية يشكل مادة وموضوعا للأنثروبولوجيا من النقد الأدبي إلى الشعر إلى الحكاية الشعبية والمسرحية إلى الرواية.

3-علاقة الأنثروبولوجيا بأدب الرحلة

تشير كتب التاريخ والأنثروبولوجيا إلى أن الإنسان لم يتوقف عن الحركة والتنقل حتى بعد أن تعلم الزراعة وعرف كيف يستقر ويؤسس المجتمعات فقد ظل عبر العصور ومزال يتطلع إلى الآفاق البعيدة فلم يكف عن التفكير فيما يضمه هذا الكون الفسيح من الموجودات ولما جمع ما أمكنه جمعه وصنف ما استطاع تصنيفه راح يصنعه تحت

---

(1)بونت بيار وآخرون، معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا، تر: مصباح صمد المؤسسة الجامعية للدراسات، 2004، ص214.

(2)سميث شارلوت، موسوعة علم الإنسان، تر: محمد الجوهري وآخرون، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2009 ص56.

(3)بونت بيار وآخرون، معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ص215.

عنوان أدب الرحلة. يهتم الأدب بالرحلات ذات المحددات المكانية والزمانية سواء جرت في الأرض أو في السماء أو في أعماق البحر والقرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى وكلمة الله إلى البشر دعا إلى الترحال والضرب في الأرض لأغراض شتى بعضها ديني وبعضها اجتماعي فيقول على لسان الملائكة «قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها».[1]

يحمل أدب الرحلة «عناصر أدبية جنبا إلى جنب مع المعلومات والمعطيات الاثنوغرافية».[2]

بأساليب ترتفع بها إلى علم الأدب وترتقي بها إلى مستوى الخيال الفني إذ يتنوع الأسلوب فيها بين السرد القصصي والحوار والوصف ويشكل رافد من روافد الأدب.

والرحلات تجارب ومغامرات ورؤى للآخر. وهي أيضا وصف توثيقي وأنثروبولوجيا. وإثنولوجيا وسعة أفق وإيمان بوحدة بني البشر «لصلة أدب الرحلات بالأثنوغرافيا فنجد الرحالة كإثنوغرافي ينوالإثنوغرافيين كرحلة».[3]

لأن الإثنوغرافيا تعني «دراسة وصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون».[4]

وآداب الرحلة أيضا يتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته ويتعرض فيها إلى وصف ما يراه من عادات وتقاليد وسلوك وأخلاق وغيرها وهذا ما يجعل الأثنوغرافيا لها صلة بأدب الرحلة وكلاهما يقابلا مصطلح الأنثروبولوجيا.

---

(1) سورة النساء، الآية: 97.

(2) حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، العدد 138، يونيو 1989، ص13.

(3) المرجع السابق، ص43.

(4) صالح قسيس، "إثنوغرافيا الواقع في أدب الرحلة الجزائري" صورة الواقع وجمالية المتخيل، جامعة البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج، الجزائر، العدد16، 1586، 2335، ص35.

حظيت الرحلات حديثا «بانتباه واهتمام مؤرخي الإثنوغرافيا بوجه خاص ذلك في سياق بحثهم عن جذورها التاريخية وتحديد موضوعاتها علاوة على توثيق مناهجها التاريخية وتحديد موضوعاتها هذا إضافة بما قد يكتشفه دارس أدب الرحلات بعض أساسيات المنظومة المعرفية للثقافة الإنسانية من زمن لآخر أو بين مختلف المجتمعات»[1]

ولهذا أضحت كتابات الرحالة مجالا للتحليل الأدبي فضا عن كونها سجلا إثنوغرافيا مهما، ولا نكتفي هنا إلا إذا أشرنا إلى دراسة عثمان موافي الذي تناول فيها رحلة ابن جبير والتي كانت رحلة أنثروبولوجية محضة ورأى أن هذا الرحالة «قد نقل لنا صورا حية وصادقة عن المدن والمجتمعات الإسلامية في المشرق العربي وعن عادات السكان وتقاليدهم ونظمهم الاجتماعية وأحوالهم النفسية».[2]

لذلك نجد علاقة الأنثروبولوجيا بأدب الرحلة علاقة متميزة لأن أدب الرحلة أدب يدرس عادات وتقاليد وسلوكات وأخلاق البشر والجماعات وغيرها والانثروبولجيا أيضا علما يدرس الإنسان وما هو مرتبط به.

4- علاقة الأنثروبولوجيا بالمسرح:

يعد التمثيل ظاهرة أنثروبولوجية يمارسها الإنسان البدائي قديما والمتحضر حديثا وهو عنصر فني من عناصر المسرح والذي يعتبر من أقدم الفنون جميعا وعندما التحمت المسرحيات بالجمهور ظل التمثيل حينها ظاهرة أنثروبولوجية.

لقد عد بعض الأنثروبولوجيين الطقوس مسرحا «لاقترابها من صيغ الأداء المسرحي، فالتواصل بعالم آخر عالم الأجداد غير المرئي أو الآلهة يمر عبر إيحاءات تقرب الطقوس من الفن من ناحية ومن ناحية أخرى فنقطة التقارب بين الطقوس وحالة المسرحية».[3]

---

(1) حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص43.

(2) المرجع نفسه، ص13.

(3) سندس محمد عباس، أنثروبولوجيا الأدب، ص8.

لذلك اعتبر الأنثروبولوجيون الطقوس مسرحا لأن الطقوس تقوم بها جماعة من البشر ممثلين الأمر المنشود. وبما أن هذه الطقوس لها ما يجمعها بالأنثروبولوجيا ذات علاقة بالمسرح مثلا «الطقوس الدينية في أفريقيا التي يستخدم فيها الكاهن قناعا رافعا فكيه المخفين باتجاه السماء من أجل أن يمارس على المريدين أثرا شعوريا».[1]

لذلك سارعت الانثروبولوجيا إلى الاهتمام بهذه الطقوس كونها جزء من المسرح وغيرها مثل «الموسيقى والرقص والصلوات والأضاحي والتقاليد الشفوية والكرنفالات ...إلخ»[2] التي يضمها المسرح وما تهتم به الأنثروبولوجيا وتدرسه.

لذلك ظهرت دراسة ذات منحنى أنثروبولوجي لأنها تنطلق من دراسة وضع المسرح في المجتمع وربطه بالطقس.

5- علاقة الأنثروبولوجيا بالسيرة الذاتية:

إن الانثروبولوجي حينما يكتب سير الأشخاص (تاريخ الحياة) وتتخذ هذه الكتابات في العادة نمطا قصصيا فكتابة الباحث الانثروبولوجي سيرة أدبية لأحد رجالات المدينة أو المجتمع الذي تعرف عليه خلال أبحاثه في ذلك المجتمع يقدم من خلال حياته نظرة حول التاريخ الاجتماعي لمجتمعه تظهر كأنها قصة لكنها من جنس السيرة مثل «مقالة الأنثروبولوجي كينث براون الموسومة (صورة المثقف المغربي) عن الكاتب المغربي أحمد بن خالد الناصري في نص النص كان ذا طبيعة استشراقيه وأنثروبولوجية» [3].

وهناك سير ذاتية مهمة لتاريخيين ومثقفين ربما كانت سيرهم الحياتية تلقي الضوء على جوانب عديدة في حياة مجتمعاتنا مع أنها سير ذاتية مهمة في حياة مجتمعاتنا.

وفي هذا السياق نذكر «دراسة نيللى حنا في كتابها (تجار القاهرة) وكيف تمكنت من خلال عرض سيرة التاجر أبو طاقية وأن ترسم لنا صورة غنية عن جوانب من حياة

---

(1) مارك أوجيه، الأنثروبولوجيا، ت: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008، ص58.

(2) المرجع نفسه، ص57.

(3) كينث براون، من الانثروبولوجيا إلى الأدب، تر: محمد حبيد، ص1-2.

مجتمع القاهرة في القرن 17 ودراستها تجعلنا نتساءل — خاصة في غياب الدراسات الأنثروبولوجية تقدم سرود هذه السيرة الذاتية مادة للدراس المتخصص في الدراسة الأنثروبولوجية التاريخية الحديثة ما يمكن من تقديم صور اجتماعية لدور الفاعل التاريخي، سواء كان مثقفا أم تاجرا أم سياسيا في حياة مجتمعاتنا؟».[1]

وهو أمر وجد اهتماما عند بعض الانثروبولوجيين الغربيين وانصب اهتمامهم في دراسات متميزة.

6- علاقة الأنثروبولوجيا بالرواية:

تهتم كلا من الدراسة الأنثروبولوجية والإبداع الأدبي وبخاصة العمل الروائي «بإعادة العالم الإنساني الذي يدور حوله كل من هذين النشاطين على الرغم من اختلافهما في أساليب فهم ذلك العالم وطرائق التعبير عن ذلك الفهم، هذا مع العلم بأن كلا من العمل الانثروبولوجي والإبداع الروائي يستمد عناصره أو مادته الخام الأساسية من المجتمع ومن الواقع المعيش إلا في أحيان قليلة، وفي نوع معين بالذات من الاعمال الروائية ويبدو هذا واضحا في الأعمال الأنثروبولوجية الكبرى».[2]

فمعظم الاعمال الروائية ظهرت في القرن التاسع عشر والذي يعتبر في الوقت ذاته عصر ازدهار الأعمال الروائية الكبرى، فكتابات عالم مثل جيمس جورج فريزر JamesGeorge Fraser وبخاصة كتابه الأساس الفص الذهبي، وهو عمل علمي رصين يتبع أساليب ومناهج البحث الأثروبولوجي السائد في ذلك الحين يتناول هذا الكتاب ما يرى المؤلف أنه «تطور مسيرة الفكر البشري منذ أقدم العصور حتى الآن فيصنفه في مراحل

---

(1) ينظر: حسن رشيق وأبو بكر قادر، الانثروبولوجيا في الوطن العربي، دار واسل للنشر، ط1، 2013.

(2) مجموعة من الأساتذة، بحوث في الأنثروبولوجيا العربية، مذكرة البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ط1، 2002، ص47.

ثلاث هي مرحلة السحر، ومرحلة الدين ومرحلة العلم فيسلط الضوء على كل واحد منها، ويدرسها بالتفصيل مدعما آراءه بأمثلة وحكايات من مختلف القبائل والشعوب البدائية».[1]

كما نجده في الوقت ذاته كتب «بأسلوب أدبي رفيع يضاهي أرقى أساليب التعبير في الأعمال الروائية الكلاسيكية وأما بالنسبة للوقائع والأحداث والظواهر الاجتماعية والثقافية والحقائق التاريخية التي يضمها الكاتب صيغت في شكل روائي وتدور حول مشكلة محورية أشبه شيء بالحبكة في الأعمال الروائية، وإذا كانت كل العناصر مستمدة من الواقع المحسوس الملموس ولكن بعد أن خضعت لخيال (العالم) الأنثروبولوجي فتولى انتقاء عناصر وأحداث وحقائق حسب خطته أو تصور خاص به دون غيره من الباحثين والعلماء، ثم صاغ ذلك كله في تلك الصباغة التي تجمع بين السرد والوصف والتحليل العلمي والقص أو الحكي الأدبي الروائي بحيث تمتزج في ذلك العمل الأنثروبولوجي العلمي الضخم موضوعية العالم وذاتية الأديب المبدع».[2]

فهذا ما يقال عند فريزر أو غيره من الروائيين الأنثروبولوجيين.

أما في العقود الثلاثة الأخيرة نجد «ظهور وانتشار مجموعة واسعة الدراسات الأثنوجرافية والأنثروبولوجية لجوانب من حياة مجتمعاتنا وثقافتنا»[3].

مثال عن ذلك الروايات التي جعلت موضوعها عالم البدو والصحراء وما تشهده من تحولات وتغييرات في أعمال. أمثال ٠ عبد الرحمن منيف وإبراهيم الكوني وغيرهما.

وفي كل الأحوال فإن العمل الأنثروبولوجي والعمل الروائي الخيالي الذي يستمد شخوصه وأحداثه وعناصر خياله من واقع معين ومحدد زمانيا ومكانيا يتجاوزان في آخر الأمر تلك الحدود كلها ويحاولان تفسير التجربة الإنسانية بل وإعادة المجتمع الإنساني لذلك نجد أن علاقة الأنثروبولوجيا بالرواية علاقة متميزة لأن في الرواية حكاية بشر

---

[1] جميس جورج فريزر، الغصن الذهبي، تر: محمد زياد كبة، ط1، 1432ه-2011م، ص6.

[2] مجموعة من الأساتذة، بحوث في الأنثروبولوجيا العربية، ص47.

[3] للإفادة أكثر ينظر: حسن رشيق وأبو بكر قادر، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، دار واسل للنشر، ط 1، 2013.

وجماعات وأشخاص وحكايات قرى ومدن، وعلاقات اجتماعية وهموم ووقائع متغيرة وتقوم الأنثروبولوجيا بدراسة كل ما في الرواية من أحداث وصراع اجتماعي وحب وهموم ومعاناة، ومن أجل أن تقوم كلمتها في عالم الرواية وأن تستخلص منه كل ما يفيد التحليل الأنثروبولوجي في الوصول إلى غاياته وإلى النتائج التي يسعى إليها.

نستنتج في الأخير أن الأنثروبولوجيا احتفظت بالتعريف نفسه إلا أن موضوعاتها اختلفت وتميزت بحسب العصور ووفاقا للموضوعات المدروسة والمعالجة، وأن الأنثروبولوجيا ليست مجالا بحثيا بقدر ماهية ارتباطا بين عدد من المجالات.

إنها تاريخ من جهة وأدب من جهة أخرى فهي تهدف وتهتم بدراسة الانسان من الداخل والخارج وبالأحرى له عدة فروع وله امتداد وعلاقة بجميع العلوم الأخرى.

إنّ الفنون في النّص الأدبي تحمل هم الإنسان وكل شؤونه وتفاصيل حياته في أدق عمقها، وهدف الأنثروبولوجيا الأول والوحيد هو الوصول إلى فهم تفاصيل حياة الإنسان، وأسرار ماضيه ومكونات نفسه، حيث يتسنى لدارس هذا العلم الإحاطة بالخصائص المميزة لهذا الإنسان، كما أن هناك علاقة وطيدة بين النص الأدبي والأنثروبولوجيا كون إن كلاهما يستقى مادته من تاريخ الماضي ومعطياته وخاصة من الواقع الحداثي المعاش أيضا. [1]

ومنه يمكن القول أن النّص الأدبي والأنثروبولوجيا ملتقى الأفكار وعلاقة ضرورية نعكس مختلف الرؤى للكون، ومن هنا تصعب علينا تحديد العلاقة المتوجة بين الأنثروبولوجيا والأدب.

---

[1] ينظر: حسن رشيق وأبو بكر قادر، الانثروبولوجيا في الوطن العربي، ص16.

المبحث الثاني: نظرية الــتأويلية ومبادئها

لقد تطور التأويل وأصبح يعرف في الأعمال الأدبية الحديثة والمعاصرة حيث جعلها تمنح إمكانات تأويلية هائلة بلغت درجة التناقض والتعارض فيما بينهم بل حتى درجة الإقصاء والإلقاء المتبادل.

1- التأويل والفهم:

ظلت الهرمينوطيقا، في مراحلها الأولى مقتصرة على تفسير النصوص وكانت توظف لذلك فقه اللغة. لقد كانت مهمتها تمكن في توضيح الغموض ورفع اللبس اللذين يسببهما قدم كل مخطوط. إن الهيرمينوطيقي مترجم يجعل، بفضل معارفه اللسانية، الغامض تنتمي إلى الحالة اللغوية الخاصة بالقارئ الذي يترجم له هذا الهيرمينوطيقي. ولكن عملية الكشف عن المعنى الحرفي وتحديده، كانت تصاحبها عملية البحث عن المعنى المجازي الذي يكمل المعنى الحرفي ويتجاوزه.[1]

فقد ازدادت الحاجة إلى التأويل مع ابتعاد زمن تأليف النص عن زمن تأويليه، فكلما ابتعد المؤول عن النص زمنيا يحدث سوء الفهم، لذا يدعو شلايرماخر إلى ضرورة وضع قواعد تعصم من سوء الفهم من خلال نظريته التأويلية التي تعني عنده " فن امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم[2]. ففهم نص ما ليس سهلاً، إنما يجب أن يستند على مبادئ وأسس تجعل الفهم ممكنا؛ لأن المؤول لا ينطلق من العدم، كما أن النص لم يؤلف هو الآخر من عدم.

قد شدد (شلا يرماخر) على ضرورة الاعتقاد بـ الطابع الدائري للفهم أي أننا نأخذ بعين الاعتبار تلك القاعدة التأويلية التي تعتبر أن الكل ينبغي أن يفهم انطلاقاً من الجزء والجزء انطلاقاً من الكل، هذه القاعدة هي وليدة الخطابة القديمة، فقد عمل فن التأويل في

1- عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، مرجع سابق، ص24.

2- المرجع نفسه، ص17.

العصر الحديث على نقلها من فن الفهم، وفي كلتا الحالتين يتعلق الأمر بعلاقة دورية الاستحضار المسبق للمعنى الذي بفضله يدرك الكل لا يثير فهماً واضحاً إلا إذا حددت الأجزاء المحددة تبعاً للكل. بدورها هذا الكل.

فالأساس التأويلي في الحلقة التأويلية هو فهم الكل انطلاقاً من الجزء وفهم الجزء انطلاقاً من الكل، فالفهم أساساً عملية إحالية، أو يقوم على الاختلاف، إذ أن فهم الكلمة داخل الجملة مقارنة بكلمة أخرى أو اختلاف معها، ذلك كاستحضار كمعان وصور، وكذا بتمييزها عن غيرها من الكلمات داخل السياق النصي، هذا الأخير بوصفه جزءاً لا يتجزأ من سياق الفن أو الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه أو الأدب مطلقاً، لكن يبقى هذا النص من منظور آخر، وليد لحظة إبداعية، أو رؤية الكاتب الفردية، هو جزء لا يتجزأ من الحياة الفكرية أو السياق الثقافي الذي ينحدر منه المؤلف[1]...

وينطلق (غادامير) في مشروعه الهيرمينوطيقي من ملاحظة أساسية، تذهب إلى أن النص الأدبي أو العمل الإبداعي هو في حقيقة مضمون معرفي وليس شكلاً جمالياً مجرداً [...] فالتجربة عند (غادامير) تتحول إلى وجود موضوعي، يكسبها حالة من الثبات والاستقلال إذا تحولت بفعل الكتابة إلى نص أدبي وهكذا يستقل النص، بفعل الكتابة عن كل العناصر النفسانية التي تولد عنها، ويصبح حاملاً لحقيقته ولتجربته المعرفية التي يفصح عنها من خلال شكله الموضوعي الثابت.[2]

كما يصر (غادامير) دوماً على حدود العلاقة التي تربط الفهم باللغة من جهة والفهم بالتأويل من جهة أخرى. فحدود هذه العلاقة مترابطة لكونها تكون عملية الفهم ذاته: يجب القول من خلال ذلك، أن عوائق التعبير اللغوي في الواقع هي عوائق للفهم

---

[1]– رابحبايو: المرجعية الأنطولوجية للتأويل عند هانز جورج غادامير، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، 2010/2009، ص48/47.

[2]– معتصم السيد أحمد: الهرمينوطيقا في الواقع الإسلامي، بين حقائق النص ونسبية المعرفة، (مرجع سابق)، ص51.

ذاته، كل فهم هو تأويل يفتح في بيئته اللغة التي تريد استحضار موضوع الكلام، والتي هي تلك اللغة الخاصة بالمؤول في الوقت نفسه.

فلغة التأويل هي ذاتها لغة الفهم نظراً لارتباط كل منهما باللغة، ولكونهما يشكلان -بهذا الوصف- بعدا إجرائياً واحداً تجاه النص، إذ نرى (غادامير) يبرر سوه التعبير عن الفكرة بسوء فهمها أساساً، وهذا ما يبرر في نظره الأخطاء المنهجية المترتبة عن الفهم بصدد الكتابة التاريخية، وليس عن النص ذاته، ذلك أن الفهم في هذه الحالة هو لغة المؤول إزاء هذا النص، وبذلك تظهر هنا مهمة التأويل المحقة في كونها " لا تكمن في تطوير إجراءات الفهم، بل في تفسير الشروط التي تتيح الفهم [1].

لقد ميزا (غادامير) بين نوعين من الفهم هما:

1- الفهم الجوهري: وهو فهم محتوى الحقيقة (التي تتكشف بقراءة النص).

2- الفهم القصدي: وهو فهم مقاصد وأهداف المؤلف

فالفهم هو إدراك المعطيات النفسية والفردية والتاريخية التي ينطوي عليها التصريح بقضية معينة مقابل فهم ماهية هذا التصريح أو السلوك أو الفعل في حد ذاته. فما نفهمه ليس هو حقيقة أو دلالة التصريح، وإنما الحيثيات والملابسات) ربما المعقدة والمتشعبة) التي سمحت في ظرف خاص وضمن سياق معطى للفرد أن يصرّح عن أمر معين. فالفهم القصدي هو وسيلة " إستراتيجية يستعان بها في اللحظة التي يخفق فيها الفهم الجوهري في إدراك حقيقة ما وهذا ما يؤطره التساؤل التالي "ماذا كان يقصده هذا الفرد بالذات؟. ولتوضيح فكرة الفهم (الجوهري / القصدي)، يلجأ (غادامير) إلى تجربة الفن كتجربة تتجلى فيها حقيقة الفهم في فهم حقيقة الآثار الفنية على ضوء المقاصد والأطر الفردية والاجتماعية والتاريخية الداخلة في تشكيلها كجملة شروط معقدة ومتعددة الأبعاد.[2]

---

[1]- عمارة كحلي: قراءة في فينومينولوجيا التأويل عند غادامير، من أفق السؤال إلى حقيقة النص، مجلة أوراق فلسفية، ع10، مركز النيل، 2004، ص210.

[2]- محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر، مرجع سابق، ص40/39.

أما بالنسبة لمشروع (إيكو) التأويلي فيقوم على تأكيد انفتاح العمل الأدبي ولا نهائية إمكاناته التأويلية، من جهة، وحرصه من جهة أخرى على وضع جملة من المعايير والقواعد والحدود التي تحكم عملية التأويل والتي أصبحت تميل إلى منح المؤول الحرية الكاملة في تأويل النص، بل والأكثر من ذلك أنها ترى أن كل تأويل ليس إلا انعكاساً الأهداف المؤول ومقاصده وتوجيهاته الخاصة.[1]

مؤكداً على أن التأويل هو الخضوع للوحدة العضوية للنص وانسجامه الداخلي الخاص وقصده العميق، أما الاستعمال فيتوافق مع قهر النص وعيه حتى يتلاءم مع مقاصدنا الخاصة [2].

إن الممارسة الفعلية والسليمة للتأويل تقتضي من وجهة نظر (ايكو)، البحث عن قصد النص باعتبار منبعاً للدلالة والمعنى، ولن يكون بإمكاننا أبداً أن نختزل قصد النص نفسه إلى "قصد المؤلف intention auctoris الذي يسبق النص، ولا أن نجعله مطابقاً المقاصد القارئ intention lectoris، المسبقة التي يحاول بعض القراء فرضها بكيفية الية على النص مدعين أن ما يقصدون إليه هو نفسه ما يقصد إليه النص.[3]

فالنص جهاز الغاية منه إنتاج قارئ خاص به. وهذا القارئ ليس شخصاً قادراً على طرح تخمينات تكون وحدها دون غيرها جيدة، الأمر على العكس من ذلك، يمكن للنص أن يتوقع قارئاً نموذجياً له الحق في إسقاط تخمينات لا متناهية. إن القارئ الفعلي هو مجرد ممثل يقدم تخمينات حول نوعية القارئ المثالي الذي يفترضه النص، فيما أن قصد النص هو بالأساس إنتاج قارئ نموذجي قادر على تقديم تخمينات حوله، فإن مهمة

1- عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص57/56.

2- المرجع نفسه، ص58.

3- المرجع نفسه، ص64.

القارئ النموذجي تكمن في تصوّر مؤلف نموذجي لن يكون هو المؤلف الفعلي الذي يتطابق في نهاية التحليل مع قصد النص[1].

لقد قامت نظرية (إيكو) على تفعيل النص وتأويله من خلال مقابلة مقصدية النص مع كل من مقصدية القارئ والمؤلف. كما أنه استعمل العديد من الآليات التأويلية التي أعطت أهمية لدور القارئ في مقاربة النص ومساءلته، وهذا ما سوف نتطرق إليه لاحقاً من خلال الوقوف عند كل آلية من آليات التأويل لدى (إيكو).

2- مبادئ النظرية التأويلية

لقد قامت النظرية التأويلية في دراسة النص الأدبي على مجموعة من المبادئ وهي:

- إن التأويل يعني بالنص قصد فهمه فهماً عميقاً. إذ لا يمكننا إقصاء الذات الكائنة وراء النص، ولا والحلول محلها لرصد مقاصدها وأهدافها، فعلاقة المؤول بالنص هي علاقة فهم وإدراك المعنى، اللذين يمهد ان لاكتشاف حقيقة ممكنة ضمنية يختزنها النص، هو إدراك للقيم الدلالية والمعرفية والجمالية للنص: أي بحث عما هو في داخل النص، لا عما يفسر به النص من خارجه. وإذا كان التأويل باعتباره بحثاً عن البنية، فأنه يعني الكشف عن حقيقة وليس تفسيراً لحقيقة مفترضة سلفاً."[2]

- تعتمد التأويلية مبدأ الملائمة (وهو يعني في الحدود الدنيا غياب للتناقض)، باعتباره معياراً للحقيقة ينبغي أن يفسر كل مظهر من مظاهر النص تبعاً للملائمة بين الكل. وينظم العمل في نظر التأويلية حول مركز يتفق مع ذهنية المؤلف: وإن المؤلف هذا ضرب من النظام الشمسي، يضم في مداره أشياء متنوعة اللغة والحافز والعقدة، وهي ليست إلا توابع لكيان أكبر.

1- أمبرتو إيكو: اعترافات رواني ناشي: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، ط1، 2014، ص54.

2- محمد كعوان، سلطة الرمز بين الرغبة والمؤول، وممكنات النص، محاضرات الملتقى الخامس"السيمياء والنص الأدبي" جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2008، ص371.

– تؤكد التأويلية استحالة المنهجية الحقيقية في نظرية التأويل، وهي لا تقدم وصفات" جاهزة.[1]

– يبدأ تأويل نص ما حين نشرع في قراءته؛ ويعني هذا بوضوح أنه من الوهم الادعاء (كما ما زالت توصي بذلك بعض المناهج المعاصرة بأننا نقوم في البداية بملاحظة ظواهر موضوعية " الوقائع" في النص قبل تأويله .[2]

– ينبغي على كل تأويل صحيح أن يتجنب اعتباطية القرارات الطائشة والتحديدات التي تفرضها عادات الفكر المترسخة ويوجه انتباهه إلى الأشياء نفسها. – ينبغي للتأويل أن يسير وفق مفاهيم وتصورات مسبقة، والتي تعوض تدريجاً بتصورات متناسبة ومتلائمة فلا يتعلق سوى بسياق التصور المتجدد باستمرار، والذي يؤسس رغبة البحث عن المعنى الفهم والتأويل .[3]

– إن وظيفة التأويل هي إخراج المعنى العام للنص الذي يشرع في قراءته.[4]

– إن القراءة الذاتية للنص تجعله نسقاً منفتحا على إمكانيات متعددة للتأويل، فإذا كانت القراءة ممكنة فذلك لأن النص ليس منغلقاً على ذاته، بل هو مفتوح على شيء آخر، على خطاب جديد ينتج حول خطاب النص، اعتماداً على دينامية " ما قبل الفهم" التي تساعد على طرح تساؤلات وافتراضات على النص يستمدها من ثقافته الذاتية.[5]

– التأويل يقع بشكل مباشر على المعنى العام للنص الذي يشرع في قراءته [6]..

1– فيرناند هالين وآخرون: بحوث في القراءة والتلقي، تر: محمد خير الباقي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1998، ص17/16.

2– مرجع نفسه، ص72.

3– هانس جورج غادامير: فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ والأهداف، (المرجع السابق)، ص123/122.

4– علي بخوش: مشروع القارئ في الفكر النقدي العربي عبد الله الغذامي أنموذجا، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014/2013، ص247.

5– أحمد بو حسن: نظرية الأدب والقراءة الفهم التأويل، دار الأمان الرباط، ط1، 2004، ص52.

6– مصطفى العارف: بول ريكور: فيلسوف الترحال، التاريخ والحقيقة، ع3، مجلة يتفكرون، 2004، ص52.

– إن التأويل يتجاوز فكرة الاعتقاد بموضوعية النص التي تنشأ من الاعتقاد بالخطاب الكوني للغة بوصفها أداة اتصال، فالكاتب الذي يتوجه إلى قراء معنيين يتحدثون بلغته أو لديهم دراية كافية بها، إنما يتوجه من خلالهم إلى كل البشر، ومن هنا يكون الاهتمام بالبنية المنطقية للكتابة، إضافة إلى البنية اللغوية أو بيئة الجملة، لكن في اللغة مستوى آخر من الخطاب هو خطاب الثقافة التي تنتمي إليها اللغة، ومستوى ثالث من الخطاب يكون فيه المتحدث أو السامع فرداً توجه فهمه واستجابته خبراته بالواقع وباللغة، وهي خبرات أكثر خصوصية تسمح بالتأويل، وبهذا المعنى تتسع النصوص لتأويلات لا نهائية، وهذا ما يمنح القارئ مكاناً مميزاً[1] ...

– ينصب التأويل مباشرة على المعنى العام للنص الذي تشرع في قراءته، وقد يبدو للملاحظ السطحي أننا نقوم بفك رموز نص ما جملة بعد جملة ولكننا في الواقع نؤول معنى هذه الجمل سعياً لإمكانية فهم إجمالي للنص. وبتعبير آخر، أن نقرأ لا يعني أن نقرأ كلمات كما لا نزال نردد من وقت لآخر، ولا يعني أن نقرأ جملاً، ولكن يعني أن نقرأ في الحال باتجاه النص كله .[2]

– مبادئ التأويل عند (أمبير توايكو)

لقد وضع " إيكو" مجموعة من المبادئ الأساسية لتأويل النصوص من بينها:

– أن النص عالم مفتوح حين يستطيع المؤول اكتشاف ما لا يحصى من الترابطات.

– تحقق فعل القراءة للقارئ يكون باكتشاف كل ما تقوله النصوص، عدا ما يريد مؤلفوها أن تعنيه، وفي اللحظة التي ينتهي فيها القارئ إلى هذا القرار يكون على يقين بأن ما اكتشفه ليس المعنى الحقيقي النهائي.[3]

---

[1]– علي بخوش، المرجع السابق، ص197.

[2]– مرجع نفسه، ص73/72.

[3]– أمبيرتو إيكو: التأويل المفرط تر: ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، سورية، ط1، 2009، ص50/49.

– لا بد للقارئ من الظن بأن كل سطر في النص يخفي معنا سرياً آخراً.[1] "

– إن النص المؤول يفرض تقييدات على المؤول، ذلك أن حقوق التأويل تتطابق مع حقوق النص، ولا يعنى هذا أنها تتطابق مع حقوق الكاتب.

– إن أي نص قابل للتأويل بطرق متعددة، ولكن بالخضوع إلى قواعد محددة بشكل جيد، وليس إلى مفهوم اللانهائية [2].

– إن النص لا يمكن أن يثبت معنى أحادياً، لأنه يطلق العنان السلسة غير منقطعة من الإحالات اللانهائية. [3]

– إن التأويل غير محدود، ولا يمكن اختصاره في دلالة بعينها، وكل محاولة للوصول إلى دلالة قد تتوهم أنها نهائية لن يقود إلا إلى الانحدار إلى متاهات لا حصر لها ولاعد. [4]

– إن التأويل هو تفاعل مع نص العالم، أو تفاعل مع عالم النص عبر إنتاج نصوص أخرى. [5]

– النص موضوع ينشئه التأويل من خلال الجهد الدائري الذي يؤديه ليجعل من نفسه تأويل صالحاً على أساس ما يؤلفه كنتيجة له.[6]

–إن النص كيان يقوم التأويل ببنائه خلال الجهد المتواصل لإقرار صوابه الذاتي على أساس أن ما ينشئه نتيجة له.[7]

---

[1]– فيصل حسين طحمير غوادرة: رواية المعجزة بين التلقي والتأويل والرؤية العامة للبنية النصية الفنية، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2007، ص8.

[2]– محمد بوعزة: إستراتيجية التأويل من النصية إلى التفككية، منشورات الإختلاف، دار الأمان، الجزائر، المغرب، ط1، 2011، ص73.

[3]–مرجع نفسه، ص117.

[4]– أمبيرتو إيكو: التأويل بين السيميائية والتفكيكية، تر سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء/ المغرب، ط2، 2004، ص15.

[5]–مرجع نفسه ص117.

[6]– أمبيرتو إيكو: الــتأويل والــتأويل المفرط، (مرجع سابق)، ص82.

[7]–مرجع نفسه، ص123.

-إن التخمينات التي يصدرها المؤول على النص الذي ينبغي أن يؤخذ في وحدته العضوية لا تقبل إلا إذا تلاءمت مع انسجام النص الذي سينكر التخمينات الاعتباطية.

-كل تأويل أدى إلى تعارض أجزاء النص هو تأويل غير موثوق به.[1]

[1]- مصطفى تاج الدين: النص القرآني ومشكل التأويل، مجلة إسلامية المعرفة، ع14، السنة الرابعة، د/س، ص30.

الفصل الثاني

الأبعاد الأنثروبولوجية في رواية كاماراد

المبحث الأول: النظم الاجتماعية والثقافية في الرواية

المبحث الثاني: مسارتأويل الرواية

المبحث الأول: النظم الاجتماعية والثقافية في الرواية

"كاماراد: رفيق الحيف والضياع" هي رواية للكاتب الجزائري الصديق حاج أحمد، موضوع الرواية هو "الهجرة السرية".... غير أن النص اختار زاويته الخاصة في التناول، عندما انطلق من عمق مجتمع دولة النيجر، حيث منابع الظاهرة.

ويبدو من الصعب للقارئ غير العارف بالكاتب أن يدرك أنه جزائري انطلاقا من المتن، لأن الجزائر لم تكن إلا أرض عبور إلى الفردوس الأوروبي مرورا بالمغرب قبل الخيبة التي أعادت البطل مامادو ورفاقه إلى نقطة البداية.

وقبل أن يكرر مغامرته كان عليه أن يلتقي مخرجا سينمائيا فرنسيا اسمه جاك بلوز في العاصمة النيجرية نيامي، كان هو الآخر يجرّ خيبة فشله في الفوز بإحدى جوائز مهرجان كان السينمائي، فرحل يبحث عن موضوع "طازج" يتدارك به الفشل ويحوّله إلى نجاح.

ومن هناك تبدأ الحكاية على لسان مامادو الذي لم يكن يتوقع أن تصبح مغامرة حياته مجرد حكاية قد تتحوّل إلى فيلم سينمائي، لا يهم إن كان ناجحا بقدر ما يهمه أن يقبض بعض المال من ذلك الأوروبي الذي كان يمكن أن يلتقيه في الضفة الشمالية من المتوسط لا في عمق الصحراء بعيدا عن الضفة الجنوبية منه.

لذلك، يمكن أن تكون ورقة بحث تحليل رواية "كاماراد" من الناحية الأنثروبولوجية ومشكلة التأويل فرصة مثيرة لاستكشاف أبعاد ثقافية واجتماعية معقدة. من خلال تحليل فني ونقدي للنص، بالإضافة إلى دراسة تأثير العوامل الثقافية والاجتماعية على الرواية وشخصياتها، يمكن للباحثين الوصول إلى فهم عميق للرواية واستكشاف مواضيع مهمة مثل الهوية والهجرة والاندماج.

تعدّ موضوعتا "الكتابة" و"الهجرة" من الموضوعات الغنية، بما تثيرانه من ارتباطات ذات أبعاد سياسية، واقتصادية، وأنثروبولوجية؛ فهي تحظى باهتمام متزايد، قد يتوارى حيناً، لكنه يظهر بقوة حيناً آخر؛ وتتمتّعُ بجاذبية كبيرة لدراسات ما بعد الكولونيالية التي

اعتبرت الهجرةَ إفرازاً حتمياً لسياسة الحقبة الاستعمارية التي مارستْ أسلوبَ القوة، والهيمنة الثقافية بقمع الثقافات الأصلية من التعبير عن ذاتها، وممارسة حقها في الاختلاف، وجَعْلها هامشاً يدور في فلك مركزية ثقافة الاستعمار، وتفسيراته، ومفاهيمه، وتقييماته، وسردياته، وإكراهاته النظرية في الوصف، والتحليل، واعتبار الثقافات الأصلية غير مؤهلة للتطور؛ ومعيقة له في الوقت نفسه.

(دون أن نشعر- نحن الرفاق الأربعة وجدنا أنفسنا نناقش سبل الخلاص من واقعنا المسدود.. لقد أضحت أخبار الهجرة نحو الألدورادو.. هي أكبر شجننا، حتى انتابتنا حالة من الهوس الهستيري، بجمع الأخبار الإعلامية.. عن رحلة مسار صحراء التهريب، المليئة بأخبار الموت والتيه.. وحيل اجتياز الحدود بلا جواز أو تأشيرة، فضلاً عن التاريخ العريق لسقوط الموتى والكسرى من أعلى السياج الشاهق، ناهيك عن الرقم الثقيل للغرقى في عرض البحر وسماع قعقعة خشب القوارب أثناء ذلك الغرق، لا أراك الله سيدي المخرج ..

الحق يذكر، أن معرفتنا صارت كبيرة بما أخبرنا به رفيقنا إدريسو عن إبراهيما، حول طرق الهجرة نحو دار المقامة .. حتى صرنا شيوخا فيها والله... نعطي الأوراد المريديها، أحسبك حضرة المخرج السينمائي الفرنسي واحداً منهم.. من ذلك على سبيل الذكر لا الحصر.. عرفنا أن هناك خيارات صعبة لا محيص عنها: الأول منها؛ المغامرة مع سماسرة تهريب البشر على الصراط.. لقطع الصحراء الكبرى وصولا للجارة الشمالية.. مع ما يتشرط فيه هؤلاء، من أثمان باهظة بلا شفقة على السلعة البشرية المهربة !! ثانيها؛ قطع مساحة هذه الأخيرة طولا مع شقيقتها الغربية عرضا، بالحافلات والمشي على الأقدام، أثناء التسلل بين حدودهما، بعيدا عن عيون حراس الحدود وهذا لا يخيفنا أو يعوقنا ..[1].

[1]- الرواية: ص45.

تحاول الأنثروبولوجيا الثقافية أنْ تقوم بمقاربة متعددة الأبعاد حول الاختلافات الثقافية ونموّ أشكال جديدة نتيجة عمليات المصاهرة الثقافية ولذلك، فإنَّ الحقبة الاستعمارية وما بعدها، قد أفرزتَا مجتمعاتٍ كسيحةً فاقدةً لشروط الهوية، مادامت تحيا بمقتضى ما يسميه بيل أشكروفت: "الخبرة الكولونيالية"[2]) وشروطها، وما خلَّفتْهُ من تأثير كبير في تأسيس هياكل نظم التربية، والتعليم، والنظم الاقتصادية التابعة/ الخاضعة، والنظم السياسية الاستبدادية التي سوف تؤسس مجتمعات ما بعد الكولونيالية، وتديرها بأسلوب التابع [3] الخاضع للقوى الإمبريالية عن طريق معاهدات التبعية ومواثيقها. ولذلك، فإنَّ الاستعمار والأنظمة التابعة أو بالأحرى الخاضعة له، قد خلقت ظروفاً اقتصادية، وسياسية، وثقافية في غاية السّوء، كانت الهجرةُ إحدى نتائجها.

ويشكل موضوع الهجرة، أكثر الموضوعات المثيرة للاهتمام بالنسبة إلى الأنثروبولوجيا من ناحية التأثر والتأثير في الثقافة. فقد اتخذت الأنثروبولوجيا الثقافية Cultural Anthropology الهجرةَ وعمليات الانتقال، موضوعاً أساسياً ينطوي على خِصْب كبير، فهي تتعامل مع المهاجر؛ بوصفه كائناً ثقافياً يحملُ معه إلى البلد المضيف منظومة ثقافية متكاملة لا تنضب من الذخيرة اللغوية، والرموز، والأساطير، والأمثال، والاستعارات، والكنايات، والحكايات الشعبية، وغير ذلك.

وتحاول الأنثروبولوجيا الثقافية أنْ تقوم بمقاربة متعددة الأبعاد حول الاختلافات الثقافية Cultural differences ونموّ أشكال جديدة نتيجة عمليات المصاهرة الثقافية، وتطرح أسئلةً حول الكيفية التي تكون فيها ثقافة البلد المضيف عرضة للتغيير والتلاقح بفعل الهجرة بوصفها حركةً اقترنتْ، عَبْرَ التاريخ، بتفكيك البنى التقليدية، وتحريك المياه الراكدة في الاقتصاد، والسياسة، والثقافة في العديد من المجتمعات[1].

[1]مجموعة من الأساتذة، بحوث في الأنثروبولوجيا العربية، ص47.

1- الهوية والانتماء:

أ. الهوية:

الهوية مكون أساسي من مكونات الأنثروبولوجيا ينطلق منها الأنثروبولوجين، ويؤكد هذا الطرح أليكس مكشللي في محاولة لتحديد مفهوم الهوية في قوله " الهوية مركب من المعايير الذي يسمح بتعريف موضوع أو شعور داخلي ما وينطوي الشعور بالهوية على مجموعة من المشاعر المختلفة كالشعور بالوحدة والتكامل والانتماء والقيمة، والاستقلال والشعور بالثقة المبني على أساس من إرادة الوجود. وعلى حسب قول أليكس مكشللي فإن الهوية هي مجموعة من المشاعر المتنوعة لدى الفرد كالشعور بالوحدة والتكامل والانتماء والقيمة والاستقلال، والشعور بالثقة على أنها إرادة الوجود[1]، أي استنادا على هذه المشاعر المختلفة بداخله يقوى الفرد على التعبير عن نوعه وطبيعته وحالته وانتماءه.

نستحضر عنصر الهوية في الرواية بوصف السارد الحالة النفسية التي يشعر بها يوسف أثناء رحلة بحثه عن ذاته وهويته إذ يقول: (المفيد من القول بلا تمدد.. إنه يرغب في ملاقاة كامارادي حران، جرب المسالك الوعرة للهجرة ووصل جنة المأوى.. أو أخفق.. هذا لا يهمه.. كل الذي يهمه حسب قوله " أن يكون الرفيق الكامارادي عرف دروب الهجرة وهوامشها.."أي:

دخل القبر وعاش البرزخ فيه... جاءه البعث.. شاهد النفخ في الصور... حضر المحشر... مر على الصراط... زار مدن الأحلام... خالط هامش مدن الضواحي كثيرا... أخيرا حضر الرجة الكبرى...)[2]

1- أليكس ميكشللي، الهوية، ص10.

2- الرواية، ص29.

ب- الانتماء:

يعتبر عنصر الانتماء الشغل الشاغل الأفراد والمجتمعات، فيعرف الانتماء على أنه انتساب الفرد شعورا وسلوكا لدينه وأمته ووطنه، واعتزازه بثوابتها وقيمها واستعداده للدفاع عنه[1]، أي الانتماء لا يمكن حصره في مدلول واحد أو التعبير عنه بألفاظ محدودة، لأنه ربما تكون قاصرة في حق هذا المصطلح، لذا هو انتساب الفرد وارتباطه بأمته ودينه ووطنه، وذلك شعورا وسلوكا ولا يكتفى فقط بهذا، بل يتعداه ليرقى إلى درجة الاعتزاز بالقيم والمبادئ مع الاستعداد بالتضحية بالنفس والنفيس دفاعا عنه.

طغت مسألة الانتماء في نص الرواية والدليل على ذلك في قول: ([[أيها الشمال القانط من الجنس الكامارادي الزاحف... أيها الجنوب العربي، المتذمر من عبور شعب ليكاماراد... لا حل لنا من أخطبوط الهجرة.. إلا بخلق فرص نشاط، تثبت هؤلاء الأفارقة المتعبين بخيبات الحياة وانكساراتها ببلدانهم... لن ولن نوقف هذا التدفق المريب، إلا بفعل ذلك... شاب نيجيري واعد.. لاقتني به الصدف، هو يحلم بالشمال حيث النعيم والخلاص وأنا أحلم بالجنوب حيث الحرمان والخلاص.. مفارقة غريبة جمعتني به !!اسمه "مامادو"، كله حيوية ونشاط.. عنده حكي عفوي عجيب ووصف رهيب.. له في درج حكيه متوالية لطيفة، تتكرر دائما، الغريب أن في معاودة إيقاعها رقة وحلاوة؛ هي (والله ..) من لقيته في اليوم الأول، بدت لي استعداداته الفطرية، أنه سيذهب بعيدا في أمر الإخراج السينمائي، لو وجد الرعاية والدعم اللوجيستيكي..

أنتج هذا الأخير، فيلما وثائقيا عن مظاهر الحرمان لدى الشعوب البائسة التي ترقد وراء الصحراء الكبرى.. أعطى لفيلمه التراجيدي، عنوانا (الوجه الآخر للحياة خلف الصحراء الكبرى) ..]].[2]

1- محمد أحمد حسن ربابعة و(آخرون)، دور الإعلام في تعزيز القيم الوطنية رؤية استراتيجية في ضوء التصور الإسلامي، المجلد 45، ع03، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2018، ص184.

2- الرواية، ص362.

فإن هذا المجال يبقى خصبا للدراسة وعلى الرغم من ظهور دعوات الحركات الإصلاحية إلى تطهير الفكر والعقيدة من بعض الشوائب، فإن المعتقد الشعبي لم يتغير منها إلا قليلا.

2- العادات والتقاليد:

العادات والتقاليد مكون أساسي من مكونات الأنثروبولوجيا ينطلق منها الأنثروبولوجين فقد عمد المؤلف توظيفها في نصه الروائي لإثرائه. العادة " هي تعبير على أشكال التفكير والسلوك المستقر الذي يقوم به الفرد في المجتمع لكن هذا الإصلاح يستعمل بكثرة من قبل علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية لوصف التصرفات الروتينية للحياة اليومية، أو الأحكام الداخلة ضمن الروتين أو النماذج الحضارية المستمدة من التصرفات المتكررة أو الطبيعة المميزة للكل الحضاري[1]، تأتي أو تنتج العادة حسب أشكال التفكير المختلفة، والسلوكات المستقرة الثابتة، التي يقوم بها الفرد في المجتمع. وهو المفهوم الذي قدمه علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية للتعبير عن الحياة اليومية لهذا الفرد، ووصف تصرفاته المتكررة والتي تميز هذا الفرد حضاريا عن غيره من الأفراد، وتميز مجموعة من الأفراد عن مجموعة أخرى غيرها.

والتقاليد "هي تلك الطرق السليمة التي قلدوها إياها أجدادنا، وبمعنى أنه تلك الكيفية السليمة التي مارسها أجدادنا قبلنا، إذ علينا أن نقلدهم بدورنا على الكيفية نفسها حتى تقوى على تسميته تقليدا. استحضر الروائي في روايته لمختلف العادات والتقاليد والطقوس الاحتفالية السائدة في الجزائر عامة والنيجر خاصة تذكر مثلا، اللباس الأكل، والمواسم والأعياد (...الشركة (Cevital) الجزائرية. الطقس الأخير من تقاليد رفيقنا.. بعد وضع كانون الفحم في إحدى الزوايا الخارجية للحصير، هو إخراج مسجّلهم الأسود التليد،

1- دهبية مهيدة، رعاية الطفل الرضيع قراءة في العادات والتقاليد المنتشرة في سيدي بلعباس مع مقارنة بأساليب الطبية الحديثة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثرويولوجيا، غير منشورة، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، 2010-2011، ص65/64.

ماركة (National Panasonic)، الذي أتى به والده المرحوم موطاري من وا ادوG و) عاصمة (بوركينا فاسو خلال نهاية الثمانينيات، قصد تعطير مجلسنا، بسماع أشرطة قديمة الصنع من ذوات الشريط البني الذي يلف على عجلتين صغيرتين من المركز، لأغاني مطربتنا الشعبية (فاطي ماريكو)، التي كنا نرقص على إيقاع نغماتها .. وتمدنا بلحظات حالمة ننسى بها بؤسنا ونقبض فيها على الزمن الهارب، الذي يحلو لنا نعته، في شريعة فقرنا وملة بؤسنا بـ (ابن الكلب ...! في الغالب –إلا ما ندر– أكون أنا (مامادو) أو كما ينطقه إخواننا العرب (مُحَمَّدٌ) ونحاول –نحن الأفارقة– أن نقربه بـ(ما حامادو)، فدعتنا أعجميتنا إلى حذف (الحاء الممدودة من وسط الكلمة الأخيرة، ليصير كما اسمي... قلت لك سيدي.. أكون أول الحاضرين إلى المجلس، بحكم عملي المسائي الوحيد الذي كلفتني به أمي سلاماتو، مُذْ توفى والدي – رحمه الله – فنهضت بهذه المهمة، رغم المعاناة التي تلقيتها في سنتي الأولى من هذا التكليف، نظرا لقلة خبرتي. حيث كان لزاما على إعادة بقرتنا (بكتو) الحناوية ذات الغرة البيضاء، كل مساء قبيل العصر، من مرعى الضفة المقابلة للنهر والمرور بها حتما على قنطرة النهر مع السيارات وهو دوام يستغرق ساعة زمنية في أسوأ الأحوال، حتى غاية عقلها بمشكلها خلف كوخنا، جهة الشمال.[1]

وفي موضع أخر نجده يعبر عن عادات وتقاليد النساء كما يلي:(ليس لأمي خصيصة ظاهرة تميزها عن نساء (6) مگلي)، سوى قرط حديدي دائري مغرز في فتحة منخر أنفها سيف اليمين، قالت لي عندما كنتُ صغيرا إنها عادة من عوائد نساء قبيلتها "بورورو"، التي تقطن نواحي مدينة "كوني" وإن معظم نساء هذه القبيلة في حينا تخلين عنه وبقيت أنوفهن مثقوبة بشكل منفر جدا!! عدا جارتها "خديجاتو" والدة رفيقي إدريسو، التي لم يُغرز في خيشومها أصلا، لذلك آثرت أمي أن تبقي هذا الأخير، بإلحاح شديد من

---

[1]– الرواية، ص39/40.

والدي في حياته وتركته بعد وفاته.. بدل ذلك الشكل الدميم من وجوه بعض الجارات، بعد نزعه.....

أما أنا فقد ضحكت على نفسي كثيرا عندما رأيت وجهي في شظية مرآة)[1]

3- اللغة:

وظف الروائي اللغة العامية بكثافة في نص الرواية لأن اللغة الدارجة تعتبر لسان المجتمعات وتتدرج ضمن الثقافة الشعبية مثلا: [[يوم الجمعة، هو يوم السعد عندي.. فيه سهل الله لي بيع بقرتنا "بكتو" وفيه اكتمل نصاب الشاحنة التي أقلعت بنا من مدينة "أدرار" وها هو ينقذنا من الموت !!]]. رقصت رقصتي المعتادة... رددنا خلالها أي صابو.. أي صابو... الثلاثة من أهل طاوة، ردّدوا بلهجتهم الهوساوية اي شيكا.. اي شيكا... بمجرد إصلاح العطب أمرنا السائق أن نشب لأماكننا بالسطح؛ لأن الماء نفد وليس من مصلحتنا التأخر.. انطلقنا زوالا من منطقة (ولاغين) بحسب ما ذكر السائق لأليكس ورواه لإدريسو الحرّ يلفح الوجوه المتعبة، بسعار الجوع وغليل العطش.. سرنا عبر تلك الفيافي، حتى سمعنا صوتا مقضقضا بالمحرك مرة أخرى. توقفت المعطوبة!! ازدادت دقات قلوبنا.. قبل فتح غطائها الأمامي، قال لنا إنه حبل (سير التيمن) تكشط ثانية.. كان الوقت ساعتها قبل الغروب، بسرعة فائقة ثبت الحبل الاحتياطي الآخر مكانه، قاللنا إذا لم يصبنا عطب آخر، سنصل مشارف مدينة "عين زام" مع العشاء أو بعدها.. قبل انطلاقه، شرب جرعة ماء، أمر قائدنا أن يعاود لناالجرعة ثانية، فعل أليكس، بللنا أحلاقنا. لقد ابتعدنا كثيرا ونجونا عن عيون الحراس، الذين عادة ما يتواجدون بـ(عين أزاوة) ومركز (تيريرين).[2] يوضح هذا المقطع مقارنة بين اللغة الفصحى واللغة الدارجة، وهذا ما يسمى بتفصيح الدارجة، لغرض تقريبها للغة الفصحى قصد توصيلها وتقريبها أكثر للقارئ العام " لذا تبقى قضية اللغة التي يكتب بها الروائي أو القاص محل نقاش يشغل كبار النقاد وأهل

[1]- الرواية: ص40.

[2]- الرواية148.

الأدب، وقد شكلت هذه القضية في مجملها أربع مستويات تقع بين الأحادية والازدواجية، فإما الأحادية الفصحى، أو العامية أو الجمع بينهما، أو اختيار لغة ثالثة أو وسطى، يتضح لنا أن حسين علام حاول تفصيح الدارجة من خلال هذا المقطع، أي حاول الجمع بين اللغة الفصحى واللغة العامية لكب تفهم من القراء بصفة عامة.

كما استعمل الروائي اللغة الدارجة العامية) بمختلف أنواعها وتراوحت الأغاني الشعبية والأمثال والكلام اليومي أي (العادي)، فنجد الأمثال في قوله: "أي صابو، أي صابو.."

وفي الرسائل في قوله: (رسالة مهاجر إفريقي غريق تناقلتها وسائط التواصل الاجتماعي...

"أنا مترح جدا يا أمي؛ لأن القارب غرق بنا عرض البحر .. من يدري؟ ربما أكون اللحظة في جوف الحوت !! لم أوفق لبئْسَ بختي.. فيما منيت النفس به، حيث الجنة هنالك على ضفة الألدورادو.. أعرف أني تركت خلف ظهري، ترسانة ثقيلة من الديون على كاهل الأسرة.. تقويت بعكازها على ابتزاز سماسرة تهريب البشر في بر المؤماة المخيف وبحر المتوسط المريع...

رجاء إرسال هذه الأخيرة، بعد غنيمتي بالفردوس المبين. استرحمك يا أمي لا تجزعي.. إن لم يصل رفاتي وألحد جنب طمر أبي وجدي بمقبرة القرية مع أختي الكبرى التي ماتت بوباء الكوليرا وأخي الأوسط الذي هلك مؤخرا بالإيبولا!!

أنا متحسر جدا يا أمي؛ لأن العيلة والحروب الأهلية والأوبئة.. دبّروا أمرهم بليل.. شكلوا حلفا علي!! حرضوني والله .. ألم تعترفي لي ليلة الوداع الأخير معك، أنهم جعلوك تقتنعين أخيرا؟ هذا قدرنا.. كان لا بد على أن أقامر كغيري من الرفاق الأفارقة، استجداء جنة الخلد.. تحت شعار يافطة كبيرة، كتب عليها (من أجل حياة أفضل ...!!

أحلامي – كما تعلمين كانت بسيطة.. لا تعدو أن تكون؛ سداد الديون أولا، بناء بيت متواضع .. مسقف بالزنك بدل أعواد شجر العضاه (الطلحوالأكاسيا)، شراء دراجة نارية

(Yamaha) أجد في ركوبها، وصولا سريعا للمدينة المجاورة، ابتغاء فتح بوتيكة صغيرة بسوقها الشعبي...[1]

وفي مكان آخر في الرواية استحضر الأغاني الشعبية مثلا (المستقبل مسدود... ما أبقى فالدوق حتى بَنَّة ... الحوت ولا الدود ..!! نتفة أخيرة من أغنية الحراقة المغني الراي الشهير الشاب خالد[2]وتذكر مثال عن الدندنة في كلام يومي وهو يقول " تعشق وعشقي معتب ورابي قليل الديارة خايف نموت من الحب ويمشي حانوتي خسارة، فهذا كله م حبه الشديد وتعلقه ببابة

البجاوية، حيث قال البعض أن كل هذا من سحر البجاوية.

واستعمل اللغة الفرنسية في قوله: (نظرنا إلى بعضنا في دهشة في صمتنا في كل مرة أليكس يدهشنا بموسوعيته الله دره ... قلنا. ربضنا بطاولة حديدية مركونة في زاوية من المقهى، كان هناك كاماراديون آخرون في المقهى، لعلهم جاؤوا قبلنا، الظاهر كذلك.. الغبار يلبس رؤوسهم ووجوههم، يتأبطون حقائبهم ومتاعهم الخفيف. كانوا ينظرون إلينا بشفقة العرق وكنا ننظر إليهم بريبة الوافد.. تقدم إلينا النادل تكلم معنا بفرنسية باريسية مشوبة بلكنة؛ لكنها مبينة:

أجابه أليكس بلا تردد: (Qu'est-ce que vous buvez?

غمز ساكو إدريسو، تبعه نيجيري آخر من ثلاثة أهل طاوة، أنهما يشربان الشاي بدل القهوة، حوّل الطلب لأليكس، بدوره نادى على النادل. في الوقت الذي استدار فيه النادل ليعطينا ظهره، ليستدركه أليكس (Café au lait pour chacun de nous,

أعاد النادل نصف الدورة كأنه جندي، قال له أليكس:

un morceau de pain avec de la confiture

حرك النادل رأسه، قبل ذهابه استدركه إدريسو بالقول ثانية:

Deux tasses de thé au lieu du café pour nous deux

---

[1]– الرواية، ص7.

[2]– الرواية، ص5.

Mais nous avons aucun dinar algérien²

النادل بوثوق

Je sais que n'êtes pas le premier. Pas de problèm³[1]

نجح الروائي في توظيف اللهجة العامية الشعبية في نص الرواية أو اللغة الفرنسية فهذا لم ينقص من قيمتها وميزتها، بل أضفى عليها لمسة جمالية زادت من فنيتها وشعريتها، ومنه يمكن القول أن اللغة هي أساس الجمال في أي عمل إبداعي ولا قيمة له دون لغة.

المبحث الثاني: مسار تأويل الرواية

مشكلة التأويل هي مشكلة فلسفية وأدبية تتعلق بكيفية فهم النصوص والرموز، وهي مشكلة تاريخية تمر بمراحل مختلفة طوال التاريخ. تعتبر التأويل مهمة لأنها تساعد على فهم معاني النصوص وتفسيرها بشكل صحيح، وتساعد أيضًا في فهم السياق الذي كتبت فيه النصوص والرموز. فالتأويل يعتبر أيضًا هامًا لأنه يمكن أن يكون للنصوص معانٍ متعددة ومتنوعة، ويساعد في فهم هذه الجوانب المتعددة والمتنوعة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للتأويل أن يساهم في الإثراء والتأمل في الثقافة والفنون. والتأويل يعتبر أيضًا هامًا لأنه يمكن أن يكون للنصوص معانٍ متعددة ومتنوعة، ويساعد في فهم هذه الجوانب المتعددة والمتنوعة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للتأويل أن يساهم في الإثراء والتأمل في الثقافة والفنون . ومن المهم أن نفهم مشكلة التأويل ونعرف كيف نقوم بتحليل النصوص والرموز بشكل صحيح، لأن ذلك يساعد في فهم العالم الذي نعيش فيه وفهم الإنسان وتجاربه.

في سياق الرواية، تصبح مشكلة التأويل أكثر تعقيدًا وتحديًا للقارئ، فالروائي يقوم ببناء عوالم وشخصيات خيالية يجب على القارئ تفسيرها وفهمها بطريقة شخصية. الرواية قد تتضمن رموز ومفاهيم متعددة يجب على القارئ التأويل لفهمها بشكل صحيح.

1- الرواية، ص156.

مشكلة التأويل في الرواية تشمل عدة جوانب، منها:

1. **الشخصيات:** تحتاج الشخصيات في الرواية إلى تأويل وتحليل لفهم دوافعها وتطورها خلال القصة.

2. **الأحداث:** يتعين على القارئ تأويل الأحداث التي تحدث في الرواية لفهم مغزاها وتأثيرها على الشخصيات.

3. **الرموز والرموزية:** قد تحتوي الرواية على رموز وعناصر رمزية تحتاج إلى تأويل لفهم معانيها العميقة.

4. **السياق:** يجب أخذ السياق الاجتماعي والثقافي في الاعتبار عند تأويل الرواية، لأنه يمكن أن يلقي الضوء على معاني مختلفة للنص.

من هنا، يمكن القول إن مشكلة التأويل في ضوء الرواية تعكس التعقيد والغموض الذي قد تحمله النصوص الروائية، وتسلط الضوء على الدور الحيوي الذي يلعبه القارئ في فهم وتفسير النص.

1- قصدية المؤلف (الصديق حاج أحمد):

حاول الكاتب الصديق حاج أحمد من خلال روايته كاماراد رفيق الحيف والضياع علاج (علاقة الإفريقي بالأوروبي)، وهو أمر يفتح نقاشا يزيد من فاعلية النص وتداوليته.. وبعيدا عن الضجيج الذي ألفناه من بعض الكتّاب عندما يُقرأ نصهم بقراءة مغايرة.. نطرح السؤال التالي:

هل النص الروائي في تخييله ومعالجته للقضايا، يُنظر إليه بمنظار ما يجب أن يكون.. أم بمنظور منطق الواقع الكائن؟ لاسيما في المواضيع التي نروم فيها تعرية الهامش..

وما أراده الكاتب هو التحرير، تحرير الوعي ابتداء بمنظومة الصحراء القائمة على الكينونة الاجتماعية والثقافية، وليس الطبيعة فقط، فحركة الحدث هي حركة في الوعي أيضا.

تتميز حركة الحدث في سعييه أن يخرج فيلما بالحركة داخل الجسد القومي. حركة اللغة، هي حركة الإقلاب، قلب الغين قافا، والحاء خاء، هذه الحركة في اللغة تمثل العامل الثقافي الأبرز في كينونة الصحراء باعتبار خصوصياتها، وهو ما قد يثير خللا في منظومة التواصل، قلبت القاف غينا في الاستقلال فتحول المعنى كلية عن مقصوده في فهم الضابط الليبي. هذه الحركة هي إحالة إلى المنظومة العربية القائمة على القومية المتشددة، لكنها تعبير عن الوعي الجمعي العربي المغاربي في تعاليه على أهم مقوم عميق في امتداد ثقافته في جوارها الأفريقي.

(إننا نحن دولة "تركو" لكل واحد منا مكانه المعروف من مقبرة الخردة.. ورثنا هذه الأماكن كما تورث التركة تماما، فبالنسبة لي مثلا، ورثنا أمتارنا فيها بالتعصيب من تركة عمي "يوسوفو" الهالك؛ كونه لم يخلف عقبا.. لا سطو لأحد منا على جاره، ابتدع لها الآباء، حدودا فاصلة، تراضوا على قسمتها وسجلوها في رسم محفوظ استبقوا منه نسخة عند كل واحد منهم، هذا نصه المقتضب ومعذرة إن أخطأت في حفظه؛ لأني أمي: " الحمد لله وحده...

نزل السيد البركة فلان بعشرين قامة طولا وتسع قامات عرضا... شرقه علان غربه "النهر "... شماله الزقاق، جنوبه جهة السوق "... في غمرة الضحك والتلذذ بنكهة الشاي العبداوي، تاهت متاعبنا ولأوتنا .. تناولنا ما تبقى من كؤوسنا، بطبيعة الحال فترة ما بين الكأسين، كانت السماع أغاني (فاطي) والرقص على إيقاعها .. حمل إدريسو شريطا أبيض طرقه طرقات خفيفة على مشاشة ركبته لإزالة ما يمكن أن يكون قد علق به من غبار، فتح باب المسجل، أدخله فيه، أحدث هذا الأخير صوتا مميزا عند غلقه ضغط على زر التشغيل انطلقت موسيقى (ماريكو) الساحرة وعلى إيقاع أغنيتها الإنسانية (Bebe)، رقصنا حتى اغتسلنا من هامشنا المليء بالوجع !!)[1]

[1]– الرواية: ص43.

الحركة الثالثة هي حركة المعنى، التي تستقى من اللامعنى في الفضاء الصحراوي، إذ لا يتحقق فيه سوى «الفراغ والامتداد، صفير الريح والصمت» وهي العناصر الثلاثة الأشد تأثيرا في الصحراء، لكنها الأشد إظهارا لكينونتها. فالامتداد في الفضاء هو ما يمنح الأشياء التمايز، أي حرية الحركة، ولهذا نرى الصحراوي متدحرجا في عباءته الفضفاضة، كتعبير عميق عن الحرية، والامتداد والفراغ، تعبير عن الخيال الواسع، أما الحلم للوصول للغاية فهي التعبير الأمثل عن المقاومة والتحدي. الصمت، هو الموسيقى التي يستند إليها كيان الصحراوي تعبيرا عن ابتهاجه بالتماهي في جغرافيته، ولهذا أفرق بين مخيالين في تناول موضوع الصحراء، مخيال بالكينونة أو الكينونة بالميلاد ومخيال عابر للصحراء، والأول يمتلك بلاغة التواصل والشفافية اللتين تمكناه من إدراك جوهر الصحراء بكل عفوية، بينما بلاغة التواصل والشفافية تجعلان من المخيال العابر للصحراء مجبرا على التعبير عن فتنة المكان وعشقه. تمثل الرواية كاماراد رفيق الحيف والضياع «اللاوعي الجمعي» بدلالة الصحراء التي يتقاسمها العرب والأفارقة، ومنه ف«مامادو» يسمي الأشياء باعتبار ما يؤول إليه أملا في الانفتاح على البعد الافريقي في كينونة العربي الثقافية.

2-قصدية النص(كاماراد رفيق الحيف والضياع):

تتناول رواية "كاماراد قضية الهجرة غير الشرعية للأفارقة نحو الفردوس الأوروبي، وتدور أحداثها، حول شخصية نيجيرية محورية، تدعى مامادو، تنطلق في رحلتها من عاصمة النيجر نيامي، نحو فردوس الشمال، سالكة أصعب الظروف عبر الصحراء الكبرى مع المهربين، للوصول إلى جنوب الجزائر، لتنتحل هوية شخصية أخرى مالية . يكفي أنها طرقت موضوعا إنسانيا خطيرا، كان مهمّشا جدا في هذا الجنس الأدبي.

(.. بتوصية شديدة من أمي: اسمع يا ولدي.. إن واجهتك ظروف صعبة، كانقطاع السبل في الصحراء.. ولا مغيث إلا الله .. كأن ترى الموت مثلا.. أو ما يشبه هذه

الظروف.. فقد ترك والدك -رحمه الله- تميمة (ونكي) مصنوعة على شكل حجاب حديدي مربع صغير ورقيق به خيط رفيع أصفر مفتول، لم أشأ أن أسأله كثيرا بما في داخلها؛ لأنه كان شديد التكتم عليها في حياته... قال لي ذات يوم بامتعاض شديد بعد طول فضول مني.. إن بها عقاقير مسحوقة، من رؤوس النسور التماسيح، البوم وعقاقير أخرى.. كان قد اشترى ذلك الحصن خلال الستينيات من رجل أتى بها من سوق الشعوذة المسمى سوق "أكوداسيوا" بـ"لومي" عاصمة "الطوفو"، كان لا يعلقها في رقبته إلا أثناء سفره، يرجو بها الحفظ وتسهيل الأمور وأكد لي ظهور نجاعتها في أكثر من موقف جَلَل .. خلال سفرياته القليلة. كما أبان لي ذات ليل في حديث الوسادة بلا طلب مني.. أن فاعلية التميمة، تكمن في الالتفات إليها وعضها بأسنان الأنياب فقط عندها تفرج الغمة بشكل سحري)[1].

الرواية عالجت موضوع الهجرة السرية بطريقة فنية رائعة، بحيث سلّطت الضوء على الجوانب المظلمة واللإنسانية ومعاناة الإنسان في إفريقيا.. يبدو لي أن أهمية هذه الرواية تكمن في خطورة موضوعها.. أكاد أجزم أن كل من أتيحت له قراءة هذه الرواية، يشعر بمدى ضحالة وعيه بمشاكل القارة التي ينتمي إليها جغرافيا وبشريا..

3- قصدية القارئ:

في رواية "كاماراد"، تُظهر النظم الاجتماعية أهمية كبيرة في تشكيل سلوك الشخصيات وتحديدها. تتناول الرواية عدة نظم اجتماعية مثل الطبقية والثقافية والسياسية وكيف يؤثر كل نظام على سلوك الشخصيات وتفاعلها.

من الناحية الطبقية، نجد تمثيلًا واضحًا للطبقات المختلفة في المجتمع، وكيف تؤثر هذه الطبقات على فرص الشخصيات وحياتهم. يمكن رؤية الصراعات بين الطبقات والتمييز الاجتماعي الذي يؤثر على علاقات الشخصيات وقراراتهم.

[1]- الرواية: ص102.

من حيث النظام الثقافي، تُظهر الرواية تأثير العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية على سلوك الشخصيات وتفاعلاتهم. يمكن رؤية تحديات تواجه الشخصيات نتيجة اختلافات ثقافية بينهم وكيف يتعاملون مع هذه التحديات.

من جهة أخرى، يظهر النظام السياسي في الرواية كجزء مهم من الخلفية الاجتماعية، حيث يتأثر حياة الشخصيات بالأحداث السياسية والقرارات الحكومية.

(النادل الأمازيغي وهو يظهر تعاطفا غير خفي معنا يتحدث: الكل يعلم بتواجد ليكاماراد بمارسيليا وباريس.. لكونهم متواجدين ومختلطين معنا من مدة طويلة حتى قبل هذه المشكلة، التي ظهرت في السنوات الأخيرة.. التي يطلقون عليها الهجرة غير الشرعية للوافدين من الجنوب، لذلك فالدرك والجيش والشرطة ومن كثرة رؤيتهم وتعودهم عليهم صاروا لا يعبؤون بهم؛ لكن الحذر مطلوب.. بين الحين والآخر، تكون هناك حملات لترحيلهم.. ثمة أمر آخر، عليكم أن تلتفتوا إليه، هو تفرقكم في ثلاث مجموعات أو أربع لدخول طاما، حتى لا تثيروا الانتباه!! كونوا مظهرين لحالكم إن سألكم أحد، أنكم كنتم بباريس وذهبتم المارسيليا مع مقاول لأجل العمل.. المشكلة بالنسبة لكم تبقى فيما بعد باريس، إن أردتم النزوح شمالا .. عندها عليكم بأخذ احتياطاتكم، ستكون المساءلة والنزول من الحافلة والتفتيش في كل النقاط التي تأتيكم..... أليكس يتبسم في وجه الأمازيغي: لنا في طاما تفكير وتدبير آخر يا رفيقي....

استدار رفيقنا نحونا، أشار إلينا بإشارة قبض اليد، كما كان يفعل إدريسو، بعدها غمرنا ارتياح عميق، فاض على وجوهنا المتجشمة. ساكو انتهى عصر السماسرة والابتزاز، يمكن الجيوبنا المثقوبة أن تستريح ..... بعدها طلبنا من المتعاطف أن يملأ لنا جالونا من الماء، فعل بكل سرور...)[1]

[1]- الرواية: ص158-159.

بشكل عام، فإن تحليل النظم الاجتماعية في رواية "كاماراد" يمكن أن يسلط الضوء على تعقيدات العلاقات الاجتماعية وتأثيرها على حياة الشخصيات، وقدرتها على تشكيل مصائرهم واختياراتهم. يمكن لدراسة هذه النظم الاجتماعية أن تساعد في فهم عميق للرواية ورسائلها الاجتماعية والثقافية.

الخاتمة

وفي ختام بحثنا في رحاب الأنثروبولوجية ومشكلة التأويل، تبين لنا الرواية أنها تساهم في إثراء الدراسات الأدبية والثقافية وتوسيع مجالات البحث في هذا السياق.

فمشكلة التأويل في رواية "كاماراد: رفيق الحين والضياع" قد تشمل التعقيدات التي تنشأ من التفسير النفسي لشخصيات الرواية، وكذلك تأثير السياق الثقافي والاجتماعي على فهم الأحداث والتطورات في الرواية. بإمكان دراسة عمق شخصيات "كاماراد" و"رفيق"، وكيفية تأثير الظروف التي يعيشانها على تفاعلهما وتطوُّر علاقتهما، أن تفتح المجال لتحليل وتأويل مشكلات رئيسية تطرقها الرواية.يمكن لبحث يركز على مشكلة التأويل في رواية "كاماراد: رفيق الحين والضياع" أن يستند إلى نقد أدبي وتحليل نصوصي لفهم الرموز والرمزيات المستخدمة في الرواية وتأثيرها على تفسير النص. كما يمكن للبحث أن يناقش المواضيع المثارة في الرواية من خلال عدسة التأويل والتحليل العميق للنص.

من خلال تقديم هذه النقاط والاتجاهات، يمكن أن يساهم في فهم أعمق للرواية وتحليلها بشكل شامل، ويفتح المجال لمزيد من البحث والدراسة في هذا النص ومواضيعه المعقدة.

– تحليل رواية "كاماراد" بين الأبعاد الأنثروبولوجية يعني فهم الشخصيات والأحداث في الرواية من خلال عدسة الثقافة والاجتماع، وكيف تتأثر الشخصيات بالعوامل الاجتماعية والثقافية المحيطة بهم.

– يُمكن لهذا التحليل أن يحدث تفسيراً أعمق لتصرفات الشخصيات وتفاعلاتهم وكيفية تطوُّر القصة.

– من خلال اتخاذ منهج أنثروبولوجي، يمكن للبحث أن يركز على موضوعات مثل التقلبات الاجتماعية والتحولات الثقافية التي تظهر في الرواية، بالإضافة إلى تحليل التفاعلات بين الشخصيات من خلال النظرة الثقافية.

بالتالي، يتضح أن تحليل رواية "كاماراد" بين الأبعاد الأنثروبولوجية للقراءة ومشكلة التأويل يمكن أن يفتح أفقًا جديداً لفهم الرواية وتفسيرها، ويساهم في إثراء الدراسات الأدبية والنقدية في هذا السياق.

الملاحق

ثانيا: نبذة عن حياة الروائي الحاج الصديق أحمد: مولده ونشأته، أعماله

المعلومات الشخصية:

الاسم الكامل: الصدّيق حاج أحمد..

الشهرة: الزيواني

مكان الولادة وتاريخها: ولاية أدرار بالجزائر في 19 ديسمبر 1967

الجنسية: جزائرية

السيرة الحياتية:

نشأ بالوسط القصوري الطيني الواحاتي بالصحراء الجزائرية بمسقط رأسه زاوية الشيخ المغيلي بولاية أدرار. تلقى تعليمه القرآني بداية بكتّاب القصر على يد شيخه الحاج أحمد لحسيّن الدمراوي، وتدرّج في التعليم النظامي، حيث تحصّل على الباكالوريا، والليسانس، والماجستير، والدكتوراه. يشتغل كأستاذ محاضر لمقياسي اللسانيات وفقه اللغة بجامعة أدرار. تقلّد عدة مهام بالجامعة منها نائب عميد كلية الآداب واللغات لمدة سنتين ليتفرّغ بعدها للتدريس والبحث والإبداع . مشارك دائم بالصحافة الجزائرية المكتوبة، كما له مساهمات دائمة كذلك بالصحافة العربية، لاسيما جريدة (العرب) اللندنية، ومجلة (الجديد) اللندنية. أصدر أول رواية له عام 2013 تحت إسم "مملكة الزيوان".

النتاج الروائي:

- "مملكة الزيوان"، 2013
- "كامارادْ – رفيق الحيف والضياع"، 2015

النتاجات الأخرى:

- "التاريخ الثقافي لإقليم توات"، 2003

• "الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره"، 2009

نقد ودراسات عن الروائي:

• "جمالية المتخيل الأنثربولوجي في رواية مملكة الزيوان"، عبد القادر ضيف الله، جريدة (الحياة الجزائر)

• "مملكة الزيوان رواية من عمق الجنوب الجزائري"، هيثم حسين، الجزيرة نت

• "مملكة الزيوان (حكاية الإنسان وأسطورة الرمل والبلح)"، حفيظة طعام، جريدة (الفكر)

• "مملكة الزيوان ومغازلة الفضاء الصحراوي"، عبدالله كروم، جريدة (صوت الأحرار)

• "قراءة تقديمية لمملكة الزيوان"، برهان شاوي، جريدة (الوطن) الجزائرية

• أطروحة دكتوراه حول رواية مملكة الزيوان بعنوان "فضاء الصحراء في رواية مملكة الزيوان"، كلية الآداب بجامعة أدرار الجزائرية

• كتاب بعنوان "شعرية الفضاء الصحراوي في رواية مملكة الزيوان"، فاطمة قاسمي، 2015

• "رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع –الهجرة غير الشرعية من منابعها"، الخير شوّار، الجزيرة نت

• "رواية كاماراد –عن مأساة العبور وخيبة الوصول للآخر"، عبدالقادر رابحي، جريدة (النصر) الجزائرية

معلومات أخرى (جوائز، ندوات، استضافات.. إلخ):

• شارك في ندوة بقسم اللغة العربية جامعة أدرار حول رواية "مملكة الزيوان"

• شارك في ندوة بملتقى السرديات بأدرار حول رواية "مملكة الزيوان"

• استضافة بحصة ضيف الثالثة بالقناة التلفزية الثالثة الجزائرية

• تكريم لرواية "مملكة الزيوان" بمدينة عين الصفراء من طرف جمعية صافية كتو

ثالثا: ملخص الرواية

رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع للكاتب الجزائري الصديق حاج أحمد تتحدث عن فلسفة الحياة التي تأخذنا إلى روسيا وعملاقها "ديستوفسكي" وتعالج المواضيع بحكمة بالغة كالتي رأيناها مع الخيميائي "لباولو كويلو" وترقص معنا رقصة "زوربا اليوناني" من حين لآخر ساخرة مما آلت إليه الأمور كسخرية ".ماركيز "في مئة عام من العزلة إنها تتحدث عن إفريقيا المهمشة تاريخا وأدبا، تأخذنا إليها مرة أخرى وقد رأيناها مرة مع العملاق شنوا اشيبي في " الأشياء تتداعى " ولكن بشكل آخر! وتظهر لك أشياء لم ترها قبلا كالذي رأيناه في رواية العمى "لساراماغو "وتغوص بنا في أعماق النفس البشرية مستخدمة الألفاظ والجمل واللعب بهما مخفية قضايا وهموم وطن كالتي أخذتنا إليها ذات يوم " أحلام مستغانمي " في ذاكرة الجسد وقد صدقت أحلام مستغانمي حينما قالت: " يفاجؤننا دائما أبناء الصحراء بفصاحتهم " وهاهو الكاتب الزيواني يكتب لنا رواية من عمق صحرائنا الجميلة بعدما كان كما نقراه صحراء دون إخضرار قلم، إنها الصحراء حينما تبدع والقلم الجاد حينما يسافر بنا ويأخذنا إلى مقارات وكهوف وأمكنة لم نزرها،

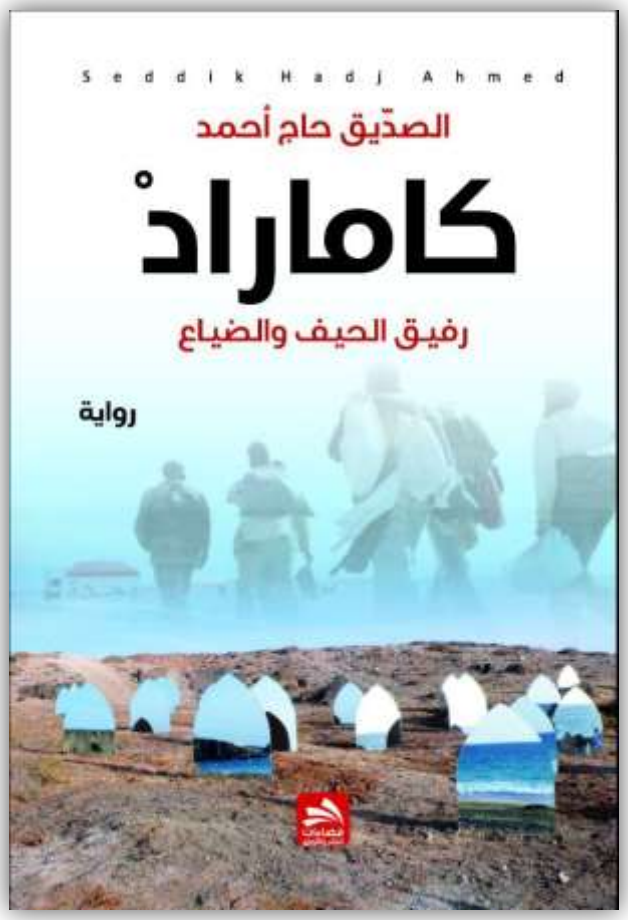

كانت رحلتنا جد ممتعة مع "مامادو" وأصدقائه "لي كاماراد نتاعو" حتى أننا لوهلة ظننا أنفسنا معهم وصرخنا مبتهجين "أي صابو يا صابو"

كتب بأسلوب وبلغة جميلة فخمة محافظا على القضية التي يطرحها ساخرا متهمكا وهذا نادرا ما يحدث ويقرأ في رواية واحدة، فليس كل ما كتب على غلافه رواية هو رواية قد يكون رواية من وجهة نظر صاحبها وليس بالضرورة هي كذلك، جميل أن نكتب ما يستحق القراءة وما يحمل أكثر من عدد الأوراق من قضايا وهموم نكتب ما يستحق أن يدرس في رسائل الماجستير والدكتوراه كأدب يتحدث عن نفسه ويوصل رسالة للإنسانية

أما الذي نعيبه في جل الروايات العربية تقريبا إدراج الجنس ضمن أولويات الكتابة وهذا ما لا نحبه ممكن لتوجهاتنا الدينية أو لعيب فينا شخصيا، ...يقال أن كل كتاب يضيف إلى صاحبه عام لكن هذه الرواية أضافت لنا سنوات، ننصحكم بقراءة هذه الرواية التي نستطيع القول أنها أضافت للأدب والنتاج الإفريقي الكثير برمزية فائقة الروعة ....صدقت أحلام مستغانمي حين قالت: "الروائي لن يكون روائي بعدد الجوائز التي يأخذها وإنما بعدد القضايا التي يعالجها ربما وجهة نظرنا التي ما إعتدنا عليها مجاملة ولكن صدقا رواية كاماراد من بين الروايات الجميلة التي قرأناها"

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع

☒ المصادر:

1-الصديق حاج أحمد، كاماراد رفيق الحيف والضياع، عمان، الأردن، ط1، 2016.

☒ المعاجم والقواميس:

2-إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية، صفاق، تونس، ط1، 1986.

3-بونت بيار وآخرون، معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا، تر: مصباح صمد المؤسسة الجامعية للدراسات، 2004.

4-سميث شارلوت، موسوعة علم الإنسان، تر: محمد الجوهري وآخرون، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2009.

5-سمير سعيد حجازي، معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والأدبية، مكتبة شمس المعرفة، مصر، (د.ط)، (د ت).

6-شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا إنجليزي –عربي، جامعة الكويت، ط1، 1981.

7-عبد الله عبد الغني غانم، الأثثروبولوجيا الثقافية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ط2.

8-مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: محمد حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1998، ج38، باب الراء.

☒ الكتب:

9-أحمد بو حسن: نظرية الأدب والقراءة الفهم التأويل، دار الأمان الرباط، ط1، 2004.

10-أزهري مصطفى صادق، مقدمة في الأنثروبولوجيا، جامعة الملك سعود الأثر، 221، 2013- 2014.

11-جمال معتوق، الأنثروبولوجيا: الفروع المداخل النظرية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2016.

12-حسن رشيق وأبو بكر قادر، الانثروبولوجيا في الوطن العربي، دار واسل للنشر، ط1، 2013.

13- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، العدد 138، يونيو 1989.

14-عيسى الشماس: مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، د ط، 2004.

15-فيصل حسين طحمير غوادرة: رواية المعجزة بين التلقي والتأويل والرؤية العامة للبنية النصية الفنية، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2007.

16-حسن رشيق وأبو بكر قادر، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، دار وائل للنشر، ط1، 2013.

17-مجموعة من الأساتذة، بحوث في الأنثروبولوجيا العربية، مذكرة البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ط1، 2002.

18-محمد بوعزة: استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الجزائر، المغرب، ط1، 2011.

19-خواجة عبد العزيز بن محمد: محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، (د، ن)، (د، ط)، غرداية، الجزائر، 2015م.

20-عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، سلسلة عالم المعارف، الكويت، ط1، 1998.

☒المراجع المترجمة:

21-أمبرتو إيكو: اعترافات رواني ناشي: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، ط1، 2014.

22-أمبيرتو إيكو: التأويل المفرط تر: ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، سورية، ط1، 2009.

23-أمبيرتو إيكو: التأويل بين السيميائية والتفكيكية، تر سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء/ المغرب، ط2، 2004.

24-بول أرون وآلان فيالا، سوسيولوجيا الأدب، تر: محمد علي مقلد الكتاب جديد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 2013.

25-بونت بيار وآخرون، معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا، تر: مصباح صمد المؤسسة الجامعية للدراسات، 2004.

26-بيرتي بيلتو: دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ، ترجمة: كاظم سعد الدين، سلسلة عالم الحكمة، بغداد، العراق، ط1، 010 2م.

27-توماس هايلاند إيركسون وفين سفرت نيلسون: تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، ث، أ، د، لاهاي عبد الحسين، منشورات الاختلاف، العاصمة، الجزائر، ط1، 2013م.

28-جميس جورج فريزر، الغصن الذهبي، تر: محمد زياد كبة، ط1، 1432هـ-2011م.

29-الخليل بن أحمد الفراهيدي كتاب العين تح مهدي المخزومي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، د ت، ج8.

30-فيرناند هالين وآخرون: بحوث في القراءة والتلقي، تر: محمد خير الباقي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1998.

31-مارك أوجيه، الأنثروبولوجيا، ت: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008.

☒ المجلات والدوريات:

32-سندس محمد عباس، أنثروبولوجيا الأدب، دراسة لقصة أنا الذي رأى.. وثائق، للقاص محسن الرملي، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، العدد 1، 2015.

33-صالح قسيس، "إثنوغرافيا الواقع في أدب الرحلة الجزائري" صورة الواقع وجمالية المتخيل، جامعة البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج، الجزائر، العدد16، 1586، 2335.

34-محمد أحمد حسن ربابعة و(آخرون)، دور الإعلام في تعزيز القيم الوطنية رؤية استراتيجية في ضوء التصور الإسلامي، المجلد 45، ع03، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2018.

35-محمد كعوان، سلطة الرمز بين الرغبة والمؤول، وممكنات النص، محاضرات الملتقى الخامس"السيمياء والنص الأدبي" جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2008.

36-مصطفى العارف: بول ريكور: فيلسوف الترحال، التاريخ والحقيقة، ع3، مجلة يتفكرون، 2004.

37-مصطفى تاج الدين: النص القرآني ومشكل التأويل، مجلة إسلامية المعرفة، ع14، السنة الرابعة، د/س.

☒الرسائل الجامعية:

38-رابحبايو: المرجعية الأنطولوجية للتأويل عند هانز جورج غادامير، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، 2009 ..2010

39-علي بخوش: مشروع القارئ في الفكر النقدي العربي عبد الله الغذامي أنموذجا، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014/2013.

40-هبية مهيدة، رعاية الطفل الرضيع قراءة في العادات والتقاليد المنتشرة في سيدي بلعباس مع مقارنة بأساليب الطبية الحديثة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثرويولوجيا، غير منشورة، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، 2010-2011.

41-وعبة ناريمان، قاسمي ليلى، الأنثروبولوجيا الروائية، رواية خطوة في الجسد لحسين علام، مقاربة أنثروبولوجية أدبية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة بجاية، 2019/2020.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة .....أ-ج

الفصل الأول

الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالنص الأدبي في ضوء التأويلية

المبحث الأول: الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالنص الأدبي **06**

1- نشأة الأنثروبولوجيا **06**

2- طبيعة الأنثروبولوجيا **11**

3- أهداف الأنثروبولوجيا **12**

4- فروع الأنثروبولوجيا **14**

5- علاقة الأنثربولوجيا بالنص الأدبي **20**

المبحث الثاني: نظرية الـــتأويلية ومبادئها **29**

1-الـــتأويل والفهم.....**29**

2-مبادئ النظرية التأويلية.....**40**

الفصل الثاني

الأبعاد الأنثروبولوجية في رواية كاماراد

المبحث الأول: النظم الاجتماعية والثقافية في الرواية **39**

1- الهوية والانتماء **42**

2- العادات والتقاليد.....**44**

3- اللغة العامية (اللهجة الصحراوية) **46**

المبحث الثاني: مسار تأويل الرواية **49**

1- قصدية المؤلف **50**

2- قصدية النص 52

3- قصدية القارئ 53

الخاتمة 57

الملاحق 60

قائمة المصادر والمراجع 66

فهرس المحتويات

ملخص

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التصريح الشرفي

الخاص بالتزام قواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أسفله السيدة عيش نادية الصفة (طالب ، ة/أستاذ ، ة/باحث ، ة)

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم 202058366 الصادرة عن بلدية بسكرة بتاريخ 2017/11/15

المسجل بكلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي والمكلف بإنجاز بحث (مذكرة تخرج ، مذكرة ماستر ، أطروحة دكتوراه) عنوانه كمال الدين رفيق الحنفي و الضياع في الحاج الصديق أحمد أنموذجا مقاربة أنثربولوجية.

تحت إشراف الأستاذ(ة) رويبح جميلة

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المسجل أعلاه. وأتحمل مسؤولية مخالفة ذلك.

التاريخ

التوقيع

مصادقة البلدية

2024 جوان 23 على التوقيع

رئيس المجلس الشعبي البلدي

عيش نادية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التصريح الشرفي

الخاص بالتزام قواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أسفله السيد بريكي سمية الصفة (طالب ، ~~أستاذ~~ ، ~~باحث~~)

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم 206351578 الصادرة عن المسيلة بتاريخ 2021-01-24

المسجل بكلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي والمكلف بإنجاز بحث (مذكرة ~~ماستر~~ ، مذكرة ماستر ، ~~أطروحة دكتوراه~~) عنوانه كمارد رفيق الحيف والضياع لـ: الهاج الصديق أحمد أنموذجا مقاربة أنثربولوجية

تحت إشراف الأستاذ حميدة روبانا

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المسجل أعلاه. وأتحمل مسؤولية مخالفة ذلك.

التاريخ

الموقع

مصادقة البلدية

جوان 2024 تصدر وتسلم هذه الشهادة للمعنية بطلب منها

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي

ونائب رئيس بلدية المسيلة المكلف بالإدارة العامة

عسكن ناصية

ملخّص الدّراسة:

تتناول الدراسة موضوعا مهما، يعكس الظواهر الاجتماعية والثقافية والدينية للإنسان الجزائري، يتجسد ذلك من خلال شخصيات رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع" لـ "الحاج الصديق أحمد"، وذلك بالاعتماد على المنهج الأنثروبولوجي.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وفصل نظري وفصل تطبيقي وخاتمة، حيث أشرنا في المقدمة إلى الأسباب التي جعلتنا نختار هذه الدراسة .أما الفصل النظري كان إيضاحات حو الأنثروبولوجيا من حيث المفهوم والنشأة، أما الفصل التطبيقي فكان عبارة عن مقاربة أنثروبولوجية في المضامين الاجتماعية والثقافية من عادات وتقاليد ومعتقدات شعبية، ومقاربة أنثروبولوجية في المضامين الدينية واللّغوية من أمثال شعبية ودلالات الأسماء، والخاتمة كانت عبارة عن أهم النتائج التي توصلنا إليها.

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجيا، الهوية، الانتماء، العادات، اللغة، قصدية.

summary:

The study deals with an important topic, which reflects the social, cultural and religious phenomena of the Algerian person. This is embodied through the characters of the novel "Kamarad Rafiq Al-Haf and Al-Lost" by "Hajj Al-Siddiq Ahmed", relying on the anthropological approach.

This study was divided into an introduction, a theoretical chapter, an applied chapter, and a conclusion. We indicated in the introduction the reasons that made us choose this study. The theoretical chapter was clarifications of anthropology in terms of concept and origin, while the applied chapter was an anthropological approach to the social and cultural contents of popular customs, traditions and beliefs, and an anthropological approach to the religious and linguistic contents of popular proverbs and the connotations of names, and the conclusion was the most important results that we reached. to her.

***Keywords**: anthropology, identity, belonging, customs, language, intentionality.*